الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف –المسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ
رقم:

تاريخ وحضارة الإسلام عند ارلوند توينبي (1889-1975م)

قراءة في مجرى التاريخ الإسلامي وخصوصيته الحضارية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ
تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

إعداد الطالبة:تحت إشراف:
*نور الهدى لغراب * طاهر بونابي

أعضاء اللجنة المناقشة		
اسم ولقب الأستاذ	الجامعة	الرتبة
د. محمد مشموش	جامعة محمد بوضياف المسيلة	رئيسا
د.طاهر بونابي	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
د. محمد بودرواز	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/ 2018-2019م

شكر وعرفان

الحمد لله سبحانه وتعالى الذي أعاننا بالعلم وزيننا بالحلم وأكرمنا

بالتقوى ونعمة السلام والعافية

وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه أفضل

صلوات الله وأزكى التسليم

بادئ ذي بدء أتقدم بالشكر الجزيل للوالدين الكريمين و قرة عيني فاطمة

الزهراء بن شريف الذين لولاهم لما وصلت

إلى هذا اليوم

أتقدم بالشكر الجزيل وبكثير من التقدير للأستاذ الفاضل

"بونابي طاهر" على قبوله الإشراف على هذا العمل وتقديمه

لي النصائح والتوجيهات القيمة.

كما لا يفوتني تقديم الشكر الجزيل للسادة أعضاء لجنة المناقشة على

قبولهم مناقشة مذكرتي

والشكر موصول إلى كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو من

بعيد وخاصة صديقتي اسيا لفريد .

?هد??

?لحمد لله ?لذ ??فقني ??عطاني?لقو?، ?سهل?مر ? لي ك تمل عملي

?يتحقق حلمي، فإليه?هتد ??ليه?تو ?

?لى سيد ? سيد?لمرسلين ?حبيب?لمتقين،?لى حبي ?قر? عيني ?سو?? لله صلى? لله عليه

?سلم

?لى من ?فع?لرحما? في شأنهما ? ك رمهما ??لد ??ل ك ريمين?طا?? لله في عمرهما

?لى?لتي حملتني ??عتني بحنانها ?شجعتني بدعو?تها ،?لى?لتي?فتخر بها ??عزها?هديها

هذ??لعمل?لمتو?ضع?مي?لحبيبة سعيد?

?لى?لذ ? تعب ? ك د لأجل?? يوصلني لهذ??لمستو??بي?لعزيز عبد?لسلا ?

?لى من?تخذتها قد?? لي ??عتبرتها منهج سلو ك ي?لى?مي?لتي لم تلدني ???تويت من

حنانها ??شبعتني باهتمامها?لي ك ي : فاطمة?لزهر?? بن شريف

?لى?خوتي ??خو?تي حفظهم? لله لي: عبد?لعزيز، محمد، خلو?

?لى?ستا? ??معلمي?لأستا? ??لد ك تو? طاهر بونابي?لوجيه?لمتو?ضع صاحب?لضمير

?ليقض?لذ ? صو ? ف ك ر ??قو? ك تابتي.

مقدمة:

شهد القرن 19م نضج علم التاريخ في أوربا الغربية، كما تبع هذا النضج تطور في المناهج وبروز نظريات جديدة تسعى إلى معرفة التاريخ واستيعاب ماهيته.

وفي هذا الزخم العلمي ظهر المفكر الانجليزي المميز "**أرلوند جوزيف توينبي**" "**Arnold Joseph TOYNBEE**" (1889-1975م)، الذي كان بروزه محل اهتمام المفكرين والسياسيين، نظرا لسعة اطلاعه وغزارة معارفه واهتماماته بتاريخ البشرية عامة.

وكانت الحضارة العربية الإسلامية من بين أهم المواضيع التي شغلت فكره، باعتبارها إحدى الحضارات التي صنعت تاريخ البشرية، واهتمت بتاريخ الإنسانية بصفة عامة.

ويرجع الدافع لاختيارنا هذا الموضوع إلى عدة أسباب ذاتية وموضوعية ونذكر منها:

الأسباب الذاتية: ميلي الشديد للفكر وشخصية توينبي، وخاصة في مجال النزاهة العلمية والموضوعية، ونزعته الإنسانية. إضافة على ذلك يرجع له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى والدكتور "**عمر بوضربة**" في استكمالي لمشواري الدراسي، ذلك أنني عملت له دراسة في درجة ليسانس مكونة من 25 صفحة تحت عنوان الحضارة مابين مالك بن نبي وأرلوند توينبي، والأخير اخذ اهتمامي أكثر من الأول، ما جعل أستاذي يبذل مجهودات إدارية والأخذ بيدي نحو الماستر، ومن تلك الفترة أصبح توينبي محل اهتمامي ورغبتي في جعل أطروحة تخرجي تحمل اسمه.

الأسباب الموضوعية:نظرا لقيمة الموضوع وقوته العلمية في دراسة الحضارة الإنسانية بصفة عامة، والإسلامية بصفة خاصة من جانبيها التاريخي والفلسفي، بالإضافة إلى محاولة إضافة بصمة ولو بسيطة على ما كتبه السابقون على دراسة توينبي للحضارة الإسلامية.

وتكمن أهمية الموضوع بالدرجة الأولى في معرفة منظور العقل الأوربي للدين الإسلامي خاصة والعالم الإسلامي عامة، بالإضافة إلى كشف الجانب التنظيري

للحضارة الإسلامية، خاصة في إسقاط قوانين توينبي الحضارية عليها لتعرف على اللوحة التي رسمها توينبي لمجرى التاريخ الإسلامي.

وفي هذا الإطار تدور إشكالية البحث الرئيسية وهي:

- كيف قرأ أرلوند جوزيف توينبي مجرى تاريخ الحضارة الإسلامية؟

ومن منطلق هذه الإشكالية المحورية نطرح الأسئلة التالية لامساك بخيوط جزئياتها:

كيف كان مسار تكوين المفكر أرلوند توينبي التاريخي و الفلسفي ؟

وما هو منظوره للتاريخ والحضارة بصفة عامة ؟ والإسلامية بصفة خاصة؟ وكيف كان تفسيره العقلي للعقل المؤسس للتاريخ الإسلامي (محمد ﷺ)؟ وكيف كانت دراسته الجيوسياسية للحضارة العربية الإسلامية؟

إن المادة العلمية التي خلفها توينبي مرنة، ولها زوايا نظر مختلفة وغير محدودة المجال الجغرافي أو الإطار الزماني هذه الصفة تركتها تخضع للعديد من الدارسات من طرف الباحثين سواء كانوا فلاسفة منهم أم مؤرخيين، ومن بين هذه الدراسات نذكر:

- زياد عبد الكريم نجم: توينبي ونظرية التحدي والاستجابة (الحضارة الإسلامية أنموذجا).
- عبد عوض قاسم المحبشي: فلسفة التاريخ في الفكر المعاصر أرلوند توينبي أنموذجا.
- هدى بوفضة: دور الدين في بناء الحضارة في فلسفة أرلوند توينبي المسيحية أنموذجا
- شيخاوي لخضر: التفسير الحضاري للتاريخ عند "أرلوند توينبي".
- خدير أمال، رحومة سمرة: نظرية التحدي والاستجابة عند أرلوند توينبي .

وفرضت علينا هذه الدراسة بناء خطة مكونة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وزودناه بملاحق توضيحية للموضوع، ومضمون الفصول هو كالتالي:

الفصل الأول: الموسوم بالمسارات الفكرية عند أرلوند جوزيف توينبي.

تناولنا فيه ترجمة لأرلوند جوزيف توينبي، وفي ضمنها تكوينه العلمي ومشاركاته السياسية ومناصبه، ثم محل توينبي من الإستشراق، ويليه مؤلفات توينبي، وأخيرا محاولة الإجابة عن إن كان توينبي مؤرخ أم فيلسوف للتاريخ.

الفصل الثاني: عنون بالتاريخ والحضارة عند توينبي، وفيه عنصرين، الأول حمل مفهوم التاريخ والحضارة عند توينبي، أما الثاني فكان علاقة التاريخ بالحضارة عند توينبي.

الفصل الثالث: اخذ عنوان الحضارة الإسلامية من منظور أرلوند توينبي، واندرج تحته ثلاث عناصر، فكان الأول مولد الحضارة الإسلامية، والثاني ارتقاء ونمو الحضارة الإسلامية، أما الأخير عنوناه بأزمة الحضارة الإسلامية.

الفصل الرابع: كان بعنوان المنظور التاريخي والجيوسياسي للتاريخ والحضارة العربية الإسلامية، وفي مضمونه عنصرين، الأول كان التفسير العقلي للتاريخ الإسلامي من منظور فلسفي تاريخي(توينبي)، واندرج تحته ثلاث فروع، الأول أوضاع العرب قبيل مجئ محمد ﷺ، والثاني محمد ﷺ مابين النظر العقلي والعمل الديني، والثالث والأخير كان محمد ﷺ مابين النظر العقلي والعمل السياسي العسكري. أما العنصر الثاني فكان التاريخ الجيوسياسي للحضارة الإسلامية، وفيه تطرقنا إلى الظروف الانثربولوجية_الجغرافية لنشأة الإسلام، وفي ضمن هذا العنصر الإطار الجغرافي للجزيرة العربية في عهد النبوة. والإطار البشري للجزيرة العربية. والعنصر الثاني الذي حمل عنوان الجيوسياسية العامة "للإمبراطورية" الإسلامية.

الخاتمة: فيها خرجنا بأهم النتائج التي تمخضت عن هذه الدراسة.

الملاحق: وفيها صورة لتوينبي وابرز مؤثريه واهم مؤلفاته التي اعتمدنا عليها.

وللإجابة عن الإشكاليات المطروحة ومن اجل الوصول إلى الحقائق التي يصبو إليها توينبي في دراسته للحضارة الإسلامية وتقرير معطياته التاريخية يتحدد لنا نوعية المنهج الذي ينبغي إتباعه، فكان المنهج الشامل هو المنهج الذي تطلبته هذه الدراسة وذلك نظرا لي: استخدام المنهج التاريخي بالياته المختلفة:

- لوصفي في وصف حياة توينبي وفي استعراض جغرافية الجزيرة العربية والحدود التوسع الإسلامي.
- المقارنة كانت في عملية الفصل في تصنيف توينبي ضمن الإستشراق أم غير ذلك.
- التحليلي النقدي ضمن تحليل الأسس التي تقوم عليها الحضارات التي تجعلها تنمو وتزدهر، والعوامل التي تعيق تقدمها، والتحديات التي تواجهها والأسباب التي تعمل على انهيارها بصفة عامة واستنتاج الأحكام المرتبطة بالموضوع.

كما كان اعتمادنا في طرح هذا الموضوع على قائمة من المصادر والمراجع نذكر أهمها:

* المصادر والمراجع:

- أولا: المصادر

تمثل مصادر توينبي بالعربية ركيزة هذه الدراسة ومصاحبة له، في كل عنصر من عناصر البحث، نذكر منها "مختصر دراسة التاريخ" بأجزائه الأربعة وكان الاستفادة من الأخير في ترجمة حياة توينبي وقراءة التفسير العقلي للتاريخ، وكذلك تاريخ البشرية الذي كان ركيزة البحث خاصة في التاريخ الجيوسياسي للحضارة الإسلامية ,إلا أن منهج توينبي في دراسته لتاريخ الحضارة الإسلامية جعل مادة الأخيرة متناثرة مما صعب علينا جمع هذه النصوص لدراستها.

ثانيا: المراجع

أما عن المراجع فقد اعتمدنا على زياد عبد الكريم نجم: توينبي ونظرية التحدي والاستجابة(الحضارة الإسلامية أنموذجا) فقد استفدت منه في الحضارة الإسلامية من منظور أرلوند توينبي. وأحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد ادم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحاضر1417هـ)، في أهم التحديات التي واجهت الحضارة الإسلامية.بالإضافة إلى نغين جمعة علم الدين:فلسفة التاريخ عند ارلوند توينبي،فقد صاحب الأخير اغلب صفحات البحث،ولم تكن لي صعوبة في استخراج المادة العلمية منهم.

رابعا المجلات:

كانت مقالة صدقي حطاب من مجلة عالم الفكر بعنوان ارلوند توينبي ،تضاهي مصادر توينبي من حيث الاعتماد عليها،نظرا لاستحواذها تقريبا جل مؤلفات توينبي وخاصة تلك التي لم تترجم بعد.

ثالثا: الرسائل الجامعية:

استحوذت دراستنا على أربع رسائل جامعية وكان اعتمادي عليها في بعض النقاط المحدودة,وكانت رسالة شيخاوي لخضر :التفسير الحضاري للتاريخ عند ارلوند توينبي من أهمها.إلا أن دراسته للحضارة الإسلامية وفق نظرية التحدي والاستجابة,لم تعطي نتائج جديدة على دراسة "زياد عبد الكريم نجم المذكور" سابقا.

المتعارف عليه أن أي بحث لا يخلو من صعوبات، ومن أهم الصعوبات التي واجهتنا، صعوبة استنطاق نصوص توينبي، بالإضافة إلى إخضاع توينبي في دراسة تاريخ الحضارة الإسلامية للمنهج المقارن، بحيث فرض الأخير عدم تتبع التسلسل الزمني، وبتالي تكون مادة العلمية للحضارة الإسلامية متفرقة وموزعة هنا وهناك في كتاباته.

وفي الأخير حسبنا أنني قد بذلت في هذه المذكرة قصارى جهدي، وكل ما أتمناه أن أكون قد وفقت ولو بجزء بسيط في عمل نافع ومفيد، فان وفقت إلى الصواب فمن الله وحده، وان أخطأت فمن نفسي، وليس الكمال إلا لله وحده، وأسأل الله أن يجعل هذا العمل البسيط خالصا لوجهه تعالى.

وختاما لا يفوتنا الإقرار بالفضل لأهله، فأسجل الشكر والامتنان لكل من أستاذي المشرف الدكتور "طاهر بونابي" على تفضله بالإشراف، ثم إلى قامات التاريخ بجامعتنا وأخص بالذكر الدكتور "محمد مشموش" رئيسا وعضو مناقشا، و الدكتور "محمد بودرواز" عضوا مناقشا.

الفصل الأول

المسارات الفكرية عند أرلوند جوزيف توينبي المؤرخ والفيلسوف

تمهيد

I- ترجمة لأرنولد جوزيف توينبي

II – الإستشراق والمستشرق

III- من مؤلفات أرلوبد جويزف توينبي

IV- توينبي مؤرخ أم فيلسوف

خلاصة

تمهيد:

الثورة الصناعية، عصر التنوير، اتساع الأطماع الاستعمارية، الحرب العالمية الأولى، ثم الثانية... كلها أحداث القرن 19م.

وعندما نتحدث عن مواليد عملاقة هاته الفترة، يكون على رأس القائمة المفكر أرلوند جوزيف توينبي، وقد تلونت حياته منذ نشأته بالمعارف المختلة، ليصل في نهاية تكوينه إلى درجة المفكر والفيلسوف والمؤرخ، هذا ما جعل فضولنا يزداد قوة ولنبحث على الإجابة للأسئلة التالية:

– كيف كان مسار أرلوند توينبي؟ وما أهم المؤثرات التي كونت شخصيته؟ وهل توينبي درس التاريخ الإسلامي من وجهة نظر مؤرخ أم مستشرق أوروبي؟ ومن خلال أهم مؤلفاته هل يعتبر أرلوند توينبي فيلسوفا أم مؤرخا؟

I- ترجمة لأرنولد جوزيف توينبي:

أ- تكوينه العلمي ومشاركته السياسية ومناصبه

ولد أرلوند جوزيف توينبي في لندن 14 أفريل عام 1889[1]، "من أسرة تنتمي إلى الطبقة الوسطى المثقفة، فقد كان والده يعمل موظفا في شركة للشاي، وأمه حصلت على درجة الباكالويوس في التاريخ، أما جده لأبيه فقد كان أول طبيب في لندن، ومن أمه فقد كان مخترعا في مجال السكك الحديدية"[2].

"تلقى توينبي تعليمه في مدارس الصفوة البريطانية وجامعتها"[3]، وكان تكوينه على النحو التالي:

- "درس في مدرسة داخلية في وتن كورث، حيث قضى فيها ثلاث سنوات، ثم التحق بكلية ونتستر حيث أمضى فيها خمس سنوات (1902-1907) وفاز في نهاية دراسته بمنحة دراسية، مكنته في مواصلة دراسته الجامعية في جامعة إكسفورد (1910-1911)"[4].

حيث درس التاريخ القديم، وعين فيها بعد تخرجه، وأرسلته الأخيرة للدراسة في المدرسة البريطانية للآثار في أثينا (1911-1912) فقضى عام واحدا ورجع إلى جامعته.

تلقى توينبي تعليما ممتازا في الموضوعات الكلاسيكية (ونقصد بها التاريخ اليوناني القديم والتاريخ الروماني واللغتين اليونانية واللاتينية وآدابها)، فقد درس اللاتينية وهو في سابعة من العمر ولمدة خمسة عشر عام، واليونانية القديمة وهو في العاشرة لمدة اثنا عشر عام[5].

---

[1] - أرلوند توينبي: الفكر التاريخي عند الإغريق، تر: لمعي المطيعي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966، ص3.

[2] - صدقي حطاب: أرنولد توينبي، مجلة عالم الفكر، المجلد 1، العدد 1، أبريل، مايو، يونيو، 1974، ص19.

[3] - أرلوند توينبي: مختصر دراسة التاريخ، ج1، تر: فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، المركز القومي للترجمة القاهرة، 2011، ص9.

[4] - صدقي حطاب: المرجع نفسه، ص293.

[5] - نفسه.

وكانت دراسته للمؤلفين القدامى وبالأخص الإغريق مصدر إلهام له، ويقال بأن توينبي يمكنه التفكير باللغة الإغريقية تماما كما يفكر بالإنجليزية[1].

"واستطاع أن يتعلم في المدرسة وفي الجامعة اللغات، الفرنسية والألمانية والإيطالية واليونانية الحديثة وأن يلم بالتركية وبالعربية فيما بعد"[2].

كما اشتغل في وزارة الخارجية البريطانية إبان الحرب العالمية الأولى، كما حظر مؤتمر الصلح في باريس عام 1919، وتكرر ذلك في الحرب العالمية الثانية، حيث حضر مؤتمر الصلح الثاني في باريس في عام 1946[3].

وعمل توينبي في عدة هيئات علمية، أهمها "المعهد الملكي للشؤون الدولية" (R.I.I.A) the royal institute of International Affairs.

وولى عمادته سنوات طويلة (1929-1956) فيها، كما أفادت الخارجية البريطانية بخبراته في سنوات الحربين العالميتين الأولى والثانية، فأكتسب خبرات أخرى كان لها صداها في كتاباته المتنوعة[4].

ب- مشارب توينبي الفكرية

"إن من أولى المؤثرات الفكرية على توينبي كانت والدته، بحيث أشار توينبي إلى فضلها في تعليمه للتاريخ إذ كانت صحبته لها صحبة فكرية نادرة"[5].

بالإضافة إلى عمه هاري الذي كان تأثيره قويا بآرائه المتحررة وشخصيته القوية ويحمد أرنولد توينبي المقادير التي جعلته يلد لآباء غير أغنياء لأن ذلك كان سيحول بينه وبين الإنتاج الغزير... فإن وخز الحاجة -كما يرى صاحبنا- حافزا لا يمكن الاستغناء عنه عند معظمنا[6].

---

[1] - نيفين جمعة علم الدين: فلسفة التاريخ عند أرنولد تونبي، 1991، ص20.

[2] - صدقي حطاب: المرجع السابق، ص293.

[3] - فؤاد محمد شبل: دراسته للتاريخ لأرلوند توينبي، دار الهية المصرية، القاهرة، 1999، ص16.

[4] - أرنولد توينبي: مختصر دراسة التاريخ،ج,1 المصدر السابق، ص (ز).

[5] - نيفين جمعة علم الدين: المرجع نفسه، ص19.

[6] - صدقي حطاب: المرجع نفسه، ص292.

أما بالنسبة لمؤثرات توينبي خارج إطاره العائلي، من مؤرخين وكتب أفاد منهم نذكر باختصار:

بداية بالمؤرخ العربي العلامة إبن خلدون، الذي ذكره في مواضيع عدة من كتابه "دراسة التاريخ" حيث رأى توينبي أن إبن خلدون قد وضع فلسفة التاريخ هي بلا مجاملة أعظم عمل أبدعه عقل في أي زمان ومكان[1].

كما تأثر بأفلاطون وبشكسبير وملنون وشلبي، وبالعالم النفساني يونج، وبالفيلسوف الفرنسي بيرجسون[2]، ونيتولاي دانيلفسكي المفكر الروسي الذي كان بمثابة الرائد الروحي لتوينبي، فقد نشر هذا المفكر مقالات[3] في مجلة زاريا في العالم 1879... وقد كان المبدأ الهام في تلك المقالات هو المبدأ الذي سبق به توينبي بخمس وسبعين عاما، وموجزه "الحضارة هي الوحدة الحقيقية للدراسة التاريخية"[4].

وقد أخذ توزينبي عن "المفكر الأمريكي ف.ج. تيجارت F.J.Tegart فكرة انتفع بها فيما بعد في دراسته، (وهي أنه لكي نفهم تاريخ حضارة ما، علينا أولا أن نقرأ عنها في توسع حتى نهتدي إلى روحها ولبابها...)"[5].

وكذلك من الكتب التي أثرت في ثقافة توينبي "كتاب المقدس"[6]، بالإضافة إلى البيت الشعري للكاتب المسرحي الروماني تيرتس (195-159 ق.م) في روايته "معذب نفسه"، ردده توينبي في كتابه "تجارب" ثلاث مرات، وهو "أنني إنسان" ومن ثم فليس هناك شيء إنساني لا أشعر أنه يهمني"[7].

---

[1] – نيفين جمعة علم الدين: المرجع السابق، ص21.

[2] – صدقي حطاب: المرجع السابق، ص294.

[3] – قاسم حسن آل شامان: فلسفة التاريخ عند أرلوند توينبي، مجلة آداب الفراهيدي، العدد خاص بالمؤتمر الثالث (العدد العاشر)، كلية التربية، كانون الأول، جامعة تكريت، قسم التاريخ، 2009، ص229.

[4] – نفسه.

[5] – حسن مؤنس: التاريخ والمؤرخون، دراسة في علم التاريخ (ماهيته وموضوعاته ومن أهله ومدارسه عند أهل الغرب وأعلام كل مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ، ومدخل إلى فقه التاريخ)، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 2001، ص193.

[6] – الكتاب المقدس: يطلق هذا الإسم على مجموعة الأسفار الإلهية التي كتبها أناس الله القديسون، المكونة للعهدين القديم والجديد والمؤلفة من 73 سفرا، 46 العهد القديم 27 العهد الجديد، وتسمته بالمقدس لتعظيمه،

[7] – صدقي حطاب: المرجع نفسه، ص294-289.

وبهذا تكون مؤثرات أرلوند جوزيف توينبي الفكرية التي جعلت منه مؤرخا وفيلسوفا تنحصر في عالمين أو مجالين، الأول مادي يقرأ من الملاحظة وتمثل في (عائلته والظروف المحيطة به، وما أخذه عن المؤرخين والفلاسفة...الخ)، وهذا العامل كان بمثابة مثبت لأفكاره ومبادئه (نزعته)، والراسم بطريقه (العلمية).

أما العامل الثاني فهو ذاتي ذا نزعة إنسانية وما أملاه عليه واجبه اتجاهها (وهذا الأمر اتصف بالنسبة، وكان محلا لنقده).

وقد نجح المؤرخ السيد أمين شلبي في تصنيف وحصر هذا المجال في ثلاث عناصر، واعتبرها من الدوافع التي حفزت توينبي على العمل وهي (القلق، الضمير كواجب الرغبة)، بقوله: "القلق من طفولته كان دافعه الرئيسي ... وظل ملازمه لطول حياته، فكان دافعا على التحقيق ... والإنجاز..."[1]، ومثال على ذلك ما أثارته الحرب العالمية الأولى فضلا عن كتاب شبنجلر (تدهور الغرب) وقلقه على مصير الحضارة الغربية، فأكب على دراسة الحضارات السابقة للتعرف على أسباب تدهورها وفناء بعضها، وكانت ثمرة هذه الدراسة موسوعته الضخمة في التاريخ الموسومة بـ (دراسة التاريخ) في أربعة أجزاء[2].

[1] – السيد أمين شلبي: نظرات في أرلوند توينبي، دار القباء، القاهرة، 2000، ص23-24.

[2] – أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، ج1، مؤسسة الثقافة الجامعية، نهج التاريخ، 1975، ص259.

II- الإستشراق والمستشرق [1]:

اختلف العديد من الفلاسفة والمؤرخين الحديثين حول إن كان توينبي يدخل ضمن حلقة المستشرقين العربيين الذي اهتموا بدراسة المشرق العربي، أم أنه مفكر في التاريخ درس المشرق أو العالم الإسلامي كعينة أو جزء من هذا العالم الكبير الذي حاول دراسته، وبدورنا نطرح التساؤلات التالية لإيضاح معالم هذا الجدل، ما هو الإستشراق؟ ومن هو المستشرق؟ وما هي القواعد أو البنود الأساسية التي يتبناها الباحث ليظهر في صفته؟ ومنه هل توينبي مستشرق أم غير ذلك؟

للوصول إلى إجابة واضحة وتفصيل في هذا الجدل سنقوم بعملية الإسقاط المفاهيم العلمية المعروفة على الإستشراق على شخصية أرلوند جوزيف توينبي.

الإستشراق بمفهومه الضيق يعني "اهتمام العلماء الغربيين بالدراسات الإسلامية والعربية ومنهج هؤلاء العلماء ومدارسهم واتجاهاتهم ومقاصدهم"[2].

ويعرفه أحمد حسين زيات بقوله: "يراد بالإستشراق اليوم دراسة الغربيين التاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره"[3].

---

[1] – الإستشراق: لغة مأخوذة من (شرق) يقال: شرقت الشمس إذا طلعت وهي تعني مشرق الشمس، ومشتقة من الشرق والشرق والمشرق بكسر الراء هو الأكثر وبالفتح والقياس، لكنه قليل الاستعمال، والسين في كلمة الإستشراق يفيد الطلب دراسة ما في الشرق، ينظر: صالح حمد حسن الأشرف: الإستشراق مفهومه وآثاره، مذكرة لنيل ماستر، إشراف: عبد العزيز بن محمد القعشمي، كلية الشريعة، قسم الثقافة، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية (1437-1438هـ)، ص12، وسامي حمود الحاج جاسم: الإستشراق دراسة تاريخية، قسم التاريخ، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ص2.

أما اصطلاحا: فهو علم يدرس لغات الشرق وتراثهم وحضاراتهم، ومجتمعاتهم وماضيهم وحاضرهم... ويدخل ضمن معنى الشرق أية منطقة شرقية، لكن (المصطلح) يعني هنا ما له علاقة بالدراسات العربية أو اللغات التي تؤثر فيها العربية كاللغات الفارسية والتركية، ينظر: سعدون الساموك: الإستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، دار المناهج، ط1، عمان، 1431هـ-2010م، ص13.

[2] – محمد فاروق النبهان: الإستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو الرباط، 1437هـ-2012م، ص12.

[3] – أحمد حسن زيات: تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر، ص512.

بمعنى دراسته المنطلقة الشرقية من العالم من حيث التراث ودين مجتمع...الخ، أي الحضارة ككل، وهذا ما فعله توينبي من خلال دراسة الحضارة الإسلامية وجغرافيتها من نشوؤها إلى غاية تأزمها.

والدراسة الإستشراقية تتطلب الزاد العلمي اللغوي أي يجب على المستشرق تعلم لغات الشرق واللغات التي تؤثر فيها (اللغة العربية) كالفارسية والتركية، وهذا ما كان في جعبة أو حوزة توينبي من لغات فقد تعلم اليونانية الحديثة، والتركية والعربية مضيفها إلى اللغات السابقة لديه الفرنسية والألمانية والإيطالية واليونانية[1].

والمستشرق هو التخصص في علوم الشرق وحضارته وآثاره وفنونه، وأطلقت كلمة "مستشرق" لأول مرة سنة 1530 على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية، ثم أطلقت بعد ذلك على من عرف لغات الشرق.

وعرف قاموس إكسفورد الجديد معنى المستشرق بأنه "من تبحر في لغات الشرق وآدابه"[2].

ويعرف واردنبرغ المستشرقين بأنهم: "أولئك الذين يدرسون الشرق"[3].

ويعرفه إدوارد سعيد في كتابه "الإستشراق" بأنه: "كل من يعمل بتدريس أو كتابة أو إجراء لبحوث في موضوعات خاصة بالشرق، سواء كان ذلك في مجال الأنثربولوجيا أي علم الإنسان، أو علم الاجتماع، أو التاريخ، أو الفقه اللغة، وسواء كان ذلك يتصل بجوانب الشرق العامة أو الخاصة"[4].

من خلال مقارنة التعريفات السابقة مع دراسات توينبي ثبت صحة المقولة التي ترمي بأن توينبي مستشرق بالدرجة الأولى.

---

[1] – صدقي حطاب: المرجع السابق، ص139.

[2] – محمد فاروق النبهان: المرجع السابق، ص11.

[3] – عبد النبي أصطيف: نحو إستشراق جديد، مجلة الاجتهاد (مجلة متخصصة تعني بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي)، العدد 50 و51، السنة الثالثة عشر، ربيع وصيف العام 2006–1422، ص39.

[4] – إدوارد سعيد: الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، ط1، دار الرؤية، القاهرة، 2006، ص44.

لكن مع ذلك يبقى إستشراق توينبي نسبي وذلك يرجع إلى كونه:

– درس الحضارة الإسلامية كما درس باقي الحضارات، أي كانت عينة أو جزء من دراساته بهدف الوصول إلى القوانين العلمية وأهمها "أن التجربة الإنسانية واحدة ومتشابهة".

– وقوفه على مسافة واحدة إلى النظر في الحضارات التي مرت بعالمنا كافة"[1]، ومن بينها الحضارة العربية الإسلامية.

– هو مؤرخ وفيلسوف التاريخ، ووجب على حامل هذه الصفة الإمعان في الجزيئيات التي تحملها الحضارة كاللغة، ثقافة، إقليم دين...الخ.

– درس توينبي الشرق والحضارات التي تعاقب عليها محاولا المقارنة بين الديانات وذلك لإثبات بأن الدين هو المحرك الأساسي للتاريخ وخضعت الحضارة العربية الإسلامية إلى مخبر توينبي في هذا المجال.

III– من مؤلفات أرلوبد جويزف توينبي:

إن توينبي بإجماع الآراء مثل فريد في القرن العشرين، بحيث اتصف بإطلاعه الواسع، ومعرفته الشاملة، وكذلك غزارة الإنتاج التي أثبتت وفرضت وجوده، ونذكر منها محاولين في ذلك مراعاة الأولوية التاريخية للإنتاج.

الديمقراطية في عصر الذرة 1906، تركيا ماضيها وحاضرها (1917)[2]، المسألة الغربية في اليونان وتركيا عام 1922، الفكر التاريخي عند الإغريق من صيمروس إلى هرقل 1924، الحرب والحضارة عام 1924، رحلة إلى الصين 1931، مستقبل الحضارة الغربية 1949[3]، الفكر التاريخي عند اليونان عام 1950[4]، الحرب والحضارة عام 1950، أمريكا والثورة العالمية 1952، العالم والغرب 1953[5].

---

[1] – ارلوند توينبي:مختصر دراسة التاريخ,ج1,المصدر السابق,ص(ج).

[2] قاسم عبد العوض المحبشي: فلسفة التاريخ في الفكر الغربي المعاصر (أرلوند توينبي أنموذجا)، رسالة دكتوراه في الفلسفة، إشراف: مدني الصالح، جامعة بغداد، 2004، ص 155.

[3] ارلوند توينبي :المصدر نفسه، ص ج.

[4] قاسم عبد العوض المحبشي: المرجع نفسه، ص 155.

[5] ارلوند توينبي:المصدر نفسه، ص ج.

الثورة الصناعية عام 1955، معالجة مؤرخ للدين عام 1956، الغرب إلى الشرق عام 1956، المسيحية بين الأديان عام 1957، الجحيم عام 1959[1]، تاريخ الحضارة الصليبية 1959، الحياة الرومانية 1960، وتكمن شهرة توينبي في مؤلفه الضخم "دراسة التاريخ" في 12 جزءاً، وشرع في تأليفه من عام 1921 حتى عام 1961، ويقول فيه كولون ولسون في كتابه "سقوط الحضارة".

يعتبر كتاب أرلوند توينبي "بحث في التاريخ" سجلا لا عزب سفرة روحية في عصرنا هذا، وهو أيضا حلول كتاب تاريخي ألفه كاتب بمفرده في هذا العصر، لأنه يقع في أكثر من خمسة آلاف صفحة[2].

ومن كتبه أيضا: اقتصاد النصف الغربي عام 1962، أمريكا وثورة العالمية[3]، بين النيجر والنيل 1965، فلسطين جريمة ودفاع 1966، الوحدة العربية آتية من النيجر إلى النيل 1967، معارف عام 1967، تجارب عام 1969[4]، بعض مشكلات التاريخ اليوناني 1969، تحري زمننا عام 1970، البقاء في المستقبل عام 1971، أهمية الثورة الروسية عام 1971، تاريخ البشرية جزأين عام 1972-1973، المدن في التاريخ 1973[5]، قلق الموت عند الإنسان عام 1974، البشرية وأمنا الأرض عام 1976، التحديات التحديات الكبرى عام 1976[6]، محاكمة الحضارة، التجربة الحضارية في الحضارة الغربية[7].

---

[1] -ارلوند توينبي:مختصر دراسة التاريخ,ج1,المصدر السابق,ص ج.

[2] – كولون ولسون: سقوط الحضارة، تر: ارخيس زكي حسين، ط2، دار الأدب، بيروت، 1961، ص 146.

[3] – قاسم عبد العوض المحبشي:المرجع السابق، ص 155.

[4] – ارلوند توينبي :مختصر دراسة التاريخ, ج1, المصدر نفسه، ص ج.

[5] – نفسه.

[6] – قاسم عبد العوض المحبشي: المرجع نفسه, ص 155.

[7] – احمد محمود صبحي: المرجع السابق, ص259.

IV- توينبي مؤرخ أم فيلسوف:

طرحت تساؤلات حول إن كان توينبي ينتمي إلى حقل الفلسفي (فيلسوف) أم التاريخي (مؤرخ)، وهذا التساؤل طرح بعدما كانت كتابات توينبي تخلو من أي عنوان فلسفي، أي كانت تاريخية بالدرجة الأولى، والملاحظ إلى دراسات فلسفية ومصادر استسقائهم للمادة العلمية يجد بأن توينبي إلا وإن كانت كتبه إحدى هذه المواد، ومنه نطرح السؤال الذي حير الكثير من الباحثين هل توينبي مؤرخا محترفا أم فيلسوفا للتاريخ؟

أ- توينبي مؤرخ محترف:

من الذين قالوا بأن توينبي مؤرخا محترفا نذكر:

- كولنجوود بقوله: "أن توينبي يمثل انتقال التفكير التاريخي من مرحلة أسلوب البحث الوضعي إلى مرحلة التأمل المثالي، ولكنه لم يفصح الرأي فيما إذ كان توينبي مؤرخا أم فيلسوفا، بل أنه في الأغلب عدّه مؤرخا، أكثر منه فيلسوفا"[1].

- وكذلك نجد محمود صبحي "حرص على أن يكون توينبي مؤرخا أكثر منه فيلسوفا"[2].

- ويرى مصطفى طه، في توينبي "أبرز مفسري التاريخ تفسيرا حضاريا"[3].

ب- توينبي فيلسوف للتاريخ:

من الذين قالوا بأن توينبي ينتمي إلى مجال الفلسفي نذكر:

- عفت شرقاوي الذي يذهب إلى "أن توينبي يقدم تصورا فلسفيا للدراسات الحضارية، مؤسسا على نظرية تاريخية موثقة بالشواهد والأسانيد"[4].

- ويقدم نيغين جمعة عنوان كتابه بـ "فلسفة التاريخ عند توينبي".

---

[1] - أحمد حمدي محمود: فكرة التاريخ، لدوبين جورج كولنجوود، رسالة ماجستير في الفلسفة، جامعة الإسكندرية ص285.

[2] - أحمد محمود صبحي: مرجع سابق، ص258.

[3] - مصطفى محمد طه: توينبي والتفسير الحضاري للتاريخ، مجلة الفيصل السعودية، دار الفيصل الثقافة، العدد 278، نوفمبر- ديسمبر 1994، ص40.

[4] - عفت محمد الشرقاوي: أدب تاريخ عند العرب، دار العودة، بيروت، ص111.

– في حين يقدم مصطفى سامي النشار في كتابه "فلاسفة أيقظوا العالم"، بأن توينبي أهم فلاسفة تاريخ في عصرنا الحالي"[1].

– ويرى كولون ولسون "أن توينبي مثله مثل شبنجلر ينتمي إلى الاتجاه الوجودي، وهو يمثل احتجاجا ضد أولئك المؤرخين الذين يكتبون وكأنهم يقفون خارج التاريخ"[2].

من (أ) و (ب) يمكن القول أن توينبي كان يمتلك رؤيا فلسفية غير منسقة بل هي مزيج من الليبيرالية الجديدة والإنسانية المسيحية، والمثالية التأملية، والوضعية الاستقرائية خليط غير متجانس من الرؤى والأفكار الفلسفية، فهو رجل غريب يتمتع بخيال قوي وتسيطر عليه أصداء الرؤى.

"ويمكن التماس العذر لتوينبي في كونه لم يجد توظيف المعرفة التاريخية في تركيب فلسفي منهجي واضح القسمات ومحدد المعالم، وذلك إذا ما عرفنا أنه لم ينشأ نشأة فلسفية ولم تكن المدة الأولى من حياته السعيدة"[3] الآمنة في وسط ثقافي ليبيرالي مطمأن، لم تكن تلك الحياة تستدعي التفكير الفلسفي بل أن القلق المعرفي الذي حفز توينبي على التفكير التأملي بالتاريخ والحضارة والتحدي والاستجابة، لم يأتي إلا فيما بعد، بعد الحرب العالمية الأولى تحديدا[4].

ويقول توينبي على تفكير: "يعد التفكير بالنسبة للإنسان نشاطا شاقا وبعيدا عن النهج الطبيعي، وهو في هذا المنهج كالسير على قدمين بالنسبة للقرود، ونادرا ما نسرف فيه أكثر مما نحن في حاجة إليه، وبتعاظم عدم ميلنا إلى التفكير بصفة عامة في الأوقات التي نحسن فيها أكبر قدر من الراحة والأمان والاستقرار...، أما عندما يحين الوقت ليأتي علينا التاريخ بدورنا، وهو أمر لابد من حدوثه أن أجلا، فتجاربنا غير المرغوب فيها تحدو

[1] – مصطفى سامي النشار: فلاسفة أيقظوا العالم، ص365.

[2] – كولون ولسون: سقوط الحضارة، تر: أنيس زكي حسن، ط3، منشورات دار الآداب، بيروت، 1982، ص148.

[3] – مؤلف مجهول: أرلوند توينبي، مجلة بعنوان مقالات في التاريخ، 09 أوت 2014، (د.ص).

[4] – نفسه.

بنا إلى التفكير ثانية في تاريخ الإنسان ومصيره وقد أخذت عقولنا في مجتمعنا الغربي الحديث تعود إلى الوراء في هذا الاتجاه منذ عام 1914"[1].

وهو بهذا يشرح كيف انتقل تفكيره من باحث في التاريخ وجامع الوقائع ووصفها، إلى نشاط فيلسوف في التفكير بالعلل والنتائج.

وهذا ما لاحظناه في كتابيه "تاريخ البشرية" و"مختصر دراسة التاريخ" بحيث يصنف في الأول مؤرخا بسبب تدوينه للتاريخ في قالبه السردي (قصصي)، أما الثاني فيصنف فيلسوفا للتاريخ نظرا لما قام به من تحليل لتاريخ واستخراج القواعد والقوانين الذي تتحكم فيه.

[1] – أرلوند توينبي: الفكر التاريخي عند الإغريق، المصدر السابق، ص31.

خلاصة:

إذا مما سبق ذكره نلاحظ أن مسار تكوين المفكر توينبي كان على مستوى تصاعدي متواصل، عنوانه اللم بمواد التاريخ، وكذلك ما لوحظ عنه سواءً أكان بقصد منه أو غير ذلك أن يصبح جزءا من تخصصه، وكان حضوره وتأثيره في ثلاثية الزمن (الماضي، وحاضره والمستقبل) بارزا ذلك من خلال غوصه في الماضي بأدوات وأساليب مختلفة، فتح بها نافذة جديدة لقراءاته والتطلع على أحداثه، أما بالنسبة للمستقبل فأثر في ذهنيات رواده ومؤيدي فكره، بجعل دراساته مادة رياضية تقاس بالمقارنة وتخضع لإسقاطات قوانينه والاحتمال محدود المجال.

– إن توينبي مفكر بالدرجة الأولى (مؤرخ وفيلسوف) وإن كانت أغلب الإسقاطات مفاهيم الإستشراق ومقارنته بالمستشرق أثبتت إستشراقه، إلا أن نزعته الإنسانية في نبذ الحروب ومواقفه العادلة اتجاه قضايا الأمم تثبت عكس ذلك وتبطل آراء الذين صنفوه بالمستشرق (القضية الفلسطينية).

– درس توينبي تاريخ الحضارات بمجموعة من الأدوات العلمية التي فرضت عليه سرد الوقائع التاريخية ومقارنتها، ثم تحقيقها وتفسيرها ... الخ قصدا منه للوصول إلى الحقائق التاريخية المهمشة، جعل منه هذا مؤرخا محترفا وفيلسوفا للتاريخ.

الفصل الثاني

التاريخ والحضارة عند أرلوند جوزيف توينبي

تمهيد

I- منهج توينبي

II- مفهوم التاريخ والحضارة عند أرلوند توينبي

أ- التاريخ عند أرلوند توينبي

ب- مفهوم الحضارة عند أرلوند توينبي

ج- علاقة التاريخ بالحضارة عند توينبي

خلاصة

تمهيد:

شهد التاريخ دراسات متنوعة بتنوع المناهج، وبالتالي اختلف في المعنى والصورة شأنه شأن الدراسات الحضارية، وكان مفهومها شامل ومتشعب وتشابهت تعريفاته على مر الزمن، وصولا إلى زمن أرلوند جوزيف توينبي، وكان منهج الأخير في الدراسة مخالف للذين سبقوه

وما يهمنا في هذا الفصل هو معرفة منهج توينبي في دراسته الحضارية وكيف كان شرحه لمفهوم التاريخ والحضارة؟

I- منهج توينبي:

قيل بأن توينبي أتى بدراسة جديدة للتاريخ، والقراءة التاريخية من زاوية نظر جديدة تتطلب الوعي بالتاريخ أولا، واستقراء واستنطاق النص التاريخي والخروج بقواعد ومقياس جديدة ثانيا، وكل هذا يصب في المنهج الذي يتبعه الباحث في دراسته.

وعليه منهج توينبي في دراسته كان كالتالي:

من المبادئ الهامة في دراسات توينبي أن البحث التاريخي يجب أن يرتكز على المجتمعات وليس على الأمم التي تعتبر جزءا منها[1]، أي انطلاق تفسير التاريخ من الكل وصولا إلى الجزء، وهذا ما ذهب إليه المؤرخ الكبير العلامة ابن خلدون قبله.

ألحَّ عليه البحث في معرفة الأسباب التي أدت إلى فئات الحضارات التي درستها أولا، ثم أكمله بمعرفة أسباب النشوء الحضارات، وازدهارها وأفولها ثانيا[2]، وكان حجر الزاوية في دراسته للتاريخ اعتبار الحضارة وحدة الدراسة التاريخية.

كما اتخذ توينبي من فكرة التحدي والاستجابة أداة التفسير التاريخ وعاملا أساسي في تطور قيام الحضارات وزوالها.

ويقسم توينبي تحديات أو دوافع البيئة إلى خمسة هي "دافع الأراضي الصعبة، ودافع الأراضي الجديدة، ودوافع التوارث، ودافع الضغوط الخارجية، ودافع العقوبات، ودافع الهجرة"[3].

---

[1] – محمد محمود السروجي: التفسير الحضاري للتاريخ إبن خلدون وأرلوند توينبي، مجلة التاريخ العربي، العدد 34 ربيع الأول 2005/1426، ص219-247.

[2] – نغين جمعة علم الدين: المرجع السابق، ص05.

[3] – محمد محمود السروجي: المرجع نفسه، ص247.

ويرى توينبي أن وحدة البشر المرجوة لا تحقق إلا بمشيئة الله[1] وهو بهذا يردد قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز منذ أكثر من أربعة عشر قرنا ((لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة))[2]، وقوله عز وجل: ((ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة))[3].

ويؤمن توينبي بفكرة إنتقال الحضارات من مجتمع لآخر، كما يرى توينبي أن هناك تشابها –وليس تطابقا– بين المجتمع الإسلامي ومثيليه المسيحيين الشرقي والغربي، وهذا التشابه ينحصر في ثلاث نقاط هي:

أولا: إن الدولة الإسلامية العالمية هي الخلافة العباسية في بغداد.

ثانيا: النظام الديني العالمي هو الإسلام.

ثالثا: حدوث هجرات نتيجة هجوم المغول على بغداد، وبربر شمال إفريقية، وبدو شبه الجزيرة العربية[4].

كما أنه توسط بين جدل قائم بين نزعتين متناقضتين في الدراسة التاريخية، فالأولى تفاؤلية ومن بين أهم روادها (فولتير)[5]، والثانية تشاؤمية، ومن بين أهم روادها (شبنجلر)[6] محاولا إبراز الوسطية والحقائق العلمية.

---

[1] – محمد محمود السروجي: المرجع السابق، ص219–247.

[2] – سورة هود: الآية [118].

[3] – سورة المائدة: الآية [48].

[4] – محمد محمود السروجي: المرجع نفسه، ص219–247.

[5] – فولتيير (Voltaire) (1694–1778): « واسمه الحقيقي »فرانسوا ماري أروي – Fracn route A Marie cois « شغل مكانة خاصة في حياة فرنسا الفكرية في القرن الثامن عشر.ّ وقد خلد تاريخ الثقافة اسمه كاتباً كبيراً وفيلسوفاً للحضارة والتاريخ » .ينظر:عثمان عي :بنية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار،إشراف لخضر مذبوح ،رسالة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة ، جامعة منتوري ،قسنطينة،29.جوان 2008.ص 72

[6] – شبنجلر(1880–1936): من ابرز الفلاسفة والمفكرين الغربيين الذين اهتموا بدراسة موضوع الحضارة والمسار التاريخي لها، حيث خاض هذا الفيلسوف أشواطا كبيرة للبحث في هذا الموضوع، ولقد توج بحثه هذا بكتابه الموسوم: "تدهور الحضارة الغربية" والذي اصدر الجزء الأول منه سنة 1920م، و الجزء الثاني سنة 1922م. ينظر: سميحة بن دحمان: الدورة الحضارية عند سوالد شبنجلر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، إشراف: بوزبرة عبد السلام، جامعة المسيلة، 2016–2017، ص 39.

إضافة إلى ذلك اتصافه بالموضوعية، ويظهر ذلك من خلال تقييمه الموضوعي لجميع الحضارات دون تفضيل للحضارة الغربية، يقول في هذا عبد الرحمان خليفة وفضل الله، في كتابهما "مدخل في الإيديولوجيا والحضارة": "هو التزامه بالموضوعية المطلقة في آرائه التي ظل طيلة حياته يدلى بها، والموضوعية طريق إلى العلمية، لا يستطيع ارتياده... وذهب كذلك توينبي إلى أن التفوق الروحي أو الفكري أو الحضاري لا يرتبط بجنس أو بلون معين والإنجاز الإنساني عبر العصور يثبت ذلك بصورة قطعية ومقام بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي لدى سيدنا رسول الله ﷺ في الدعوة الإسلامية بصورة عامة خير دليل على ذلك"[1].

II- مفهوم التاريخ والحضارة عند أرلوند توينبي

أ- التاريخ عند أرلوند توينبي:

يجيب أرلوند توينبي على السؤال الذي طرحه لمّ يدرس التاريخ؟ بقول: "إن المؤرخ يستجيب في دراسته التاريخ إلى نداء الله له بتتبع خلقه، بالسعي إلى معرفته تعالى: وإسهام المؤرخ في التراث الإنساني، هو أن يقدم لنا صورة بإبداع الخالق في حركة الدائبة"[2].

ويقول "إن حساسيتي للبيئة التاريخية هي جزء من العيش في البعد الزمني: أنه الشعور نحو أجدادنا وأحفادنا، الشعور بأننا أوصياء على كل تاريخ البشرية وأن علينا أن نسل ما سلم إلينا وأن نتأكد أننا قد حافظنا عليه"[3].

بهذا يكون توينبي يرجع مصدر التاريخ إلى الدين، فالأخير هو الذي دفع الإنسان للنظر في مجرى الأحداث، وكذلك يؤكد بأن التاريخ البشري متصل ومتشابه.

لكن بما نفسر ذلك الإنسان الذي لا يؤمن بأن هناك قوى تتحكّم في الكون، أي لا يؤمن بوجود الله (ملحد)، ويدرس التاريخ فما مصدره؟

---

[1] - عبد الرحمان خليفة، فضل الله إسماعيل: المدخل في الإيديولوجيا والحضارة، مكتبة بشان المعرفة، 2006، ص139-140.

[2] - أرلوند توينبي: مختصر دراسة التاريخ، ج4، ط2، تر: محمد فؤاد شبل، الإدارة الثقافية في جامعة الدول الأوروبية القاهرة، 1955، ص233.

[3] - أمين شلبي: المرجع السابق، ص53.

لقد انطلق توينبي من خلال تعريفه لتاريخ وفهمه له من زوايا نظر دينية مسيحية واضحة، والمسيحية عموما تحدد الغاية من التاريخ والذي يبدأ من خلق الإنسان وينتهي بقيام الساعة وهذه غاية الإنسان الذي هو موضوع التاريخ[1]. بهذا يكون ربط توينبي الدين بالتاريخ مستوحاة من مفكرين قبله وأبرزهم ابن خلدون، حيث اعتبر الأخير "أن التاريخ لا يمكن أن يكون بعيدا عن التوحيد وهذا ما يعطيه الأهمية"[2].

"كما أن التاريخ عند توينبي هو إنجاز للخطة الإلهية، وهو إبداع الله في حركته من الله منبعه وإلى الله غايته، ولذلك فقد نظر توينبي إلى تاريخ المدنيات لا في حدود مصائرها فقط، ولكن في حدود دورها في الدين ...، فالتاريخ إجمالا هو ذلك التفاعل بين الله والإنسان وهو إنجاز للخطة الإلهية، ولكن بمبادرة الفرد في حدود ما خططه الإله للتاريخ أي تلك الإرادة الحرة"[3].

بمعنى أن الله هو الراسم لمجرى التاريخ، والوعي به وبغايته تكون في مدى استجابة الإنسان لنداء ربه.

ويضيف توينبي إلى أن حركة التاريخ لم تكن عشوائية أو بالفطرة، وبالمقابل فإن عمل الإنسان هو كذلك.

وهذا ما وصل إلينا من توينبي عن طريق أحمد محمود صبحي في قوله "... لأن عمل الإنسان في التاريخ ليس كذلك التي تنقض بالليل ما تعزله بالنهار، كما أنه ليس التاريخ مجرد طاحونة يديرها مسجونون دون صدف سوى تعذيبهم، إن عجلة التاريخ ليس آلة شيطانية تبتلى الناس بعذاب سرمدي، ولكن هناك إيقاعا أساسيا يتمثل في التحدي والاستجابة في الانسحاب والعودة في النكسة والنهضة في الانشقاق والعودة"[4].

---

[1] – شيخاوي لخضر : التفسير الحضاري للتاريخ عند "أرلوند توينبي"، رسالة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2016–2017، ص8.

[2] – محسن مهدي: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، تر: ياسر الشريف، (د.ت)، (د.م)، ص8.

[3] – شيخاوي لخضر: المرجع نفسه، ص10.

[4] – أحمد محمود صبحي: المرجع السابق، ص264.

ويقصد بذلك أن حركة التاريخ بما تحمله في طياتها من مصاعب ومصائب التي تولد ردة فعل، يكون اختلافها في سعة إدراكها والظروف الإبداع هي وليدة هذه الأحداث، أي أن عجلة التاريخ تستمر في الدوران باستمرار التجديد، وهذا لا يحدث إلا بما ذكر سابقا.

ويحصر توينبي أحداث التاريخية في جانبين: المادي والروحي، والتفسير المادي للتاريخ هو استئصال جميع مقومات الإنسان الروحية أو الدينية وجعله كبقية الكائنات يسعى لتحقيق الرزق، وحماية النفس...الخ.

أما التفسير الروحي فهو الهيئة الأصلية للإنسان، بالتوجيه إلى صورة الإله، ويتضمن الجوانب الفكرية للحياة.

وبهذا الثنائي يكون الأستاذ توينبي قد وفق في تفسيره للتاريخ، بحيث يقول فيه المترجم كتابه "مختصر دراسة التاريخ" فؤاد محمد شبل: "هنا يفترق عن غيره من المؤرخين الذين إما يقتصرون على سرد الأحداث التاريخية دون استقصاء دوافعها، وإما يفسرونها تفسيرا ماديا مثلما يفصل فلاسفة الاشتراكية الذين ابتكروا فلسفة المادية للتاريخ"[1].

ب- مفهوم الحضارة عند أرلوند توينبي:

توينبي في تعريفه لنا للحضارة لم يعطي تعريفا مباشرا لها كما وسبق في تعريفه للتاريخ، وهذا ما ذهب إليه أيضا استنتاج لخضر شيخاوي في قوله: "من خلال دراستنا لمفهوم الحضارة عند (توينبي) فإننا نجده يستعمل عدة مفاهيم ليعني بها الحضارة ومن ضمنها هذه الكلمات "مجتمع" و"المجتمعات" و"حضارة"، "حضارات".

والمجتمع برأي توينبي هو "الشبكة الكاملة للعلاقات بين الأفراد" والأفراد هم بقوله: "الأفراد بكل بساطة هي النقاط المركزية داخل شبكة العلاقات"[2].

بهذا يكون تعريف المجتمع في نظر توينبي نسيج مجموعة من الأفراد، وهم بدورهم نواة المجتمع وصانعيه.

---

[1] – أرلوند توينبي: مختصر دراسة التاريخ، ج4، مصدر سابق، ص8.

[2] – شيخاوي لخضر : المرجع السابق، ص 1-4.

أما عن المجتمعات فيقول توينبي: "فيما أنني استعمل كلمة (مجتمع) لأعني بها الشبكة الكاملة للعلاقات بين الأفراد، أستعمل (المجتمعات) لأعني بها الشبكات الخاصة التي يمكن أن نحللها كمركبات لعدد معين من المؤسسات المشكلة لهذه المجتمعات... كالمجتمعات البدائية والمجتمعات التي هي في طور التحضر"[1].

أعطى توينبي في تعريفه إلى المجتمعات بعدا آخر، بحيث ذهب من المعنى البسيط، الذي اعتدناه وهو "جمع لكلمة مجتمع" إلى تعريف مركب وعكسي بمعنى عندما يتم لفظ مصطلح مجتمع فإن مخيلة الإنسان تربطه بتكتل مجموعة من الأسر، أما القول مجتمعات يعني النظر (دراسة) في مقومات، أساليب أساسيات، البيئة...الخ، ذلك المجتمع، وهو المعيار الذي يحكم على نوعه.

أما بالنسبة للحضارات فيقول: "كل حضارة تحمل شبكة علاقات لمجتمع ما ومن المستحيل فعليا دراسة حضارة ما منفصلة عن مجتمعها"[2].

وبهذا يكون توينبي عرف الحضارة انطلاقا من الجزء ووصولا إلى الكل، أي أن الحضارة هي نتائج تأثر وتأثير مجموعة من المجتمعات، وأعطى تصور عام لتاريخ البشرية الذي رأى بأنه يتكون من سلسلة من التجارب والأحداث يصل منها إلى قمته في صورة حضارية قائمة.

"ورأى أن كثيرا من هذه الحضارات كاستجابة لظروف وجدت فيها الأمة، وأنها مرت بمراحل متشابهة، ومن هنا تولدت نظرية التحدي والاستجابة لدى توينبي"[3].

ومفهوم التحدي والاستجابة "هو مفهوم مزدوج اللفظ والمعنى والوظيفة، فالتحدي يدلي بمفهوم، أزمة، واقع، لغز ...، أما الاستجابة ترمز إلى الرد، الجواب، المجابهة..."[4].

---

[1] – شيخاوي لخضر : المرجع السابق، ص14.

[2] – نفسه.

[3] – عماد الدين خليل، فايز ربيع: الوسيط في الحضارة الإسلامية، المرجع السابق، ص111.

[4] – خذير أمال، رحومة سمرة: نظرية التحدي والاستجابة عند أرلوند توينبي، رسالة ماستر، إشراف: شهيدة لعموري، علوم الإنسانية، شعبة الفلسفة، تخصص تاريخ الفلسفة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014-2015، ص26.

ويقسم توينبي هذه التحديات إلى قسمين:

- " **تحديات طبيعية:** مثل المناخ والجغرافيا الطبيعية والموارد الطبيعية وغيرها.
- **تحديات بشرية:** مثل عدد ونوع السكان وثقافة المجتمعات وطبيعتها"[1].

ويمكن الاختلاف في ميزان الحضارات وقيمتها على حسب توينبي إلى مستوى التحدي فالأخير ينقسم إلى ثلاث أقسام رئيسية وهي:

1. تحدي قاسٍ: أكبر من قدرة المجتمع ولا يستطيع الإنسان تطوير آليات التغلب عليه مثل ذلك شعب الإسكيمو، وتحدي الثلوج المستمرة.

2. تحدي ضعيف: غير مستفز للإنسان ليطور ذاته نظرا لتوفر حاجياته الأولية مثل شعب نويزيلاندا، قلة السكان، ووفرة الموارد...الخ.

3. تحدي خلاف: يستفز علاقات الإنسان، ولكنه – أي الإنسان– قادر على تطوير آليات للتغلب عليه مثل حالة كل الشعوب التي صنعت حضارات[2] .

إن التحدي الذي يولد الإبداع ويصنع الحضارة في نظر توينبي هو الذي يستدعي الاختراع وترويض البيئة للتكيف معها، أي أن التحدي الخلاق هو مقياس لصنع الحضارة.

ويؤكد توينبي هذا بتحديد بإجابته على الأسئلة التي طرحها وهي:

"إذا كان نهر النيل هو سر قيام الحضارة المصرية الفرعونية القديمة فلما لم تنشأ إذن حضارات مماثلة في بيئات مشابهة للبيئة المصرية؟، لماذا لم تنشأ في واد الأردن أو حوض الكونغو أو حوض الدانوب مثلا؟"[3].

---

[1] – جاسم سلطان: أداة فلسفة التاريخ، سلسلة أدوات مقادة، ص42.

[2] – نفسه، ص44–45.

[3] – خاليد فؤاد طحطح: في فلسفة التاريخ، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، (1430هـ–2009م)، ص99.

ويقول توينبي في كتابه الأخير "البشر وأمهم الأرض": "إن وعي الإنسان لنفسه أو ميلاد ما يسمى بالضمير يعتبر تاريخ بداية حضارة الإنسان، أو بداية وجوده كمخلوق متميز بنفسه عن سائر الحيوان، وقادر على صنع الحضارة ومدرك لبعض القيم الإنسانية"[1].

يبين توينبي أن الجذور الأولى للحضارة، تتضح على ضوء التفسير التاريخي لجانبيه المادي والروحي، وأن الحضارة وليدة الإنسان وتوأمه.

ويعطي توينبي قواعد لمن أراد أن يكتب تاريخ حضارة ما، بقوله "وعندما يحاول المرء أن يكتب تاريخ حضارة ما، فإن لما يعينه أكبر العون أن يشاهد جانبا ولو ضئيلا من المسرح الذي دارت عليه حوادث المسرحية، إن لمحة عابرة واحدة يلقيها المرء على طبيعة الأرض لتخبره بأكثر مما تخبره به سنوات طوال يقضيها في دراسة الخرائط والنصوص"[2].

ج- علاقة التاريخ بالحضارة عند توينبي:

وعلاقة الحضارة بالتاريخ في نظر توينبي علاقة متشابكة ومتداخلة لا تفهم إحداهما إلا بالنظر إلى الجزء الثاني، بحيث يمثل التاريخ عنده "سياق متحرك في حركة نصية أودعتها فيه العناية الإلهية"[3].

"أما الحضارة هي ظواهر متعاقبة تظهر وتزول فوق هذا السياق"[4]. بمعنى أن التاريخ خطي وليس قطعي، أي يتحرك في سياق خطي أفقي، والحضارة تسير فوق هذا الخط بشكل متقطع، أي كل حضارة تمثل نفسها.

ويشرح توينبي هذا في قوله: "إذا كانت الديانة عَرَبَة فإنه يبدوا أن العجلات التي تسير بها نحو السماء هي تعاقب لحضارات على الأرض"[5].

---

[1] – حسين مؤنس: الحضارة (دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب، الكويت، يناير، 1978، ص ص82-83.

[2] – أرلوند توينبي: تاريخ الحضارة الهيلينية، تر: رمزي جرجس، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2003، ص13.

[3] – لخضر شيخاوي: المرجع السابق، ص 21.

[4] – نفسه.

[5] –نفسه.

وبما أن مفهوم التاريخ عند توينبي هو النظر، وتتبع خلق الله، وعند الله يعني الديانة أي الديانة ترادف معنى التاريخ، وبالتالي إن التاريخ يلم في طياته كل مركبات الحضارة وتتغير قراءته على حسب تشكل الأخيرة، وهنا يوضح تفسيره للتاريخ ولمصطلح الدورية بمعنى الدورة الحضارية، وليست النظرية الدورية للتاريخ كما فهمها البعض.

خلاصة:

اتصفت دراسة توينبي بالنزاهة العلمية والموضوعية في التحليل ويرجع ذلك إلى نزعته الإنسانية ومنظوره للوحدة البشرية، وبرز هذا في أثاره المادية (كتاباته)، وأيضا من خلال الوظائف السياسية التي تقلدها.

وإن كانت هناك ميولات ذاتية نحو إقليمه الجغرافي بما يحمله من مبادئ لا ينقص من قيمته، كونه إنسان لا يستطيع التجرد والتخلي عن محيطه بصفة كلية.

إن مفهوم التاريخ عند توينبي يرجع إلى حركة الإنسان على الأرض في سعيه لتحقيق حاجياته المادية، ومحاولاته الفكرة في حدود ما خططه الإله في للتاريخ.

أما بالنسبة للحضارة من منظور توينبي عبارة عن سلسلة من التحديات والاستجابات عبر التاريخ.

الفصل الثالث

الحضارة الإسلامية من منظور أرلوند جوزيف توينبي

تمهيد

I- مولود الحضارة الإسلامية من منظور توينبي

II- ارتقاء ونمو الحضارة الإسلامية

III- أزمة الحضارة الإسلامية

خلاصة

تمهيد:

بدأ اهتمام توينبي بالحضارة العربية الإسلامية بوقت مبكر من حياته، بحيث أعطى لها عناية خاصة في دراسته وتحليله، وكان لها القسط الكبير من التفسير الحضاري في كتبه، وفي مقدمة فهارسها، بعد الديانة أو العالم المسيحي، ويعود هذا إلى ميولات المؤلف نحو جغرافيته، لكن المشكل ليس في التصنيف أو عدد الصفحات، وإنما في موضوعيته في تحليل الحضارة الإسلامية، إذن ما هو منظور توينبي للحضارة الإسلامية وكيف فسرها؟.

وكيف جرى تطبيق قانون التحدي والاستجابة على حضارتنا الإسلامية؟.

I- مولود الحضارة الإسلامية من منظور توينبي:

عدد توينبي 21 حضارة[1] منذ بدأ الخليفة، وتمر هذه الحضارة في تصوره بمراحل ثلاث متعاقبة: النشوء، والنضج، والأفول، كل ذلك بحسب قانون "التحدي والاستجابة"[2] وهذا ما طبقه توينبي على الحضارة الإسلامية إلا أن الأفول الأخيرة أطلق عليه مصطلح الأزمة، لأنه عدها من بين الحضارات التي تستظل قائمة ومستمرة لما تملكه من مقومات الاستمرارية.

إن القوانين التي صاغها توينبي في تفسيره للدورة الحضارية كان قد سبقه إليها الفكر الإسلامي، واقصد بهذا العلامة ابن خلدون، وكذلك ما صاغه عبد الحميد ابن باديس بعده ومالك بن نبي وإن كان الاختلاف فيما بينهم في صياغة المصطلح، إلا أنه واحد في مدلوله ومعناه.

إن المتعارف عليه هو قيام الحضارة الإسلامية في أحضان العرب في شبه الجزيرة العربية، وهذا الحيز الجغرافي الأخير شهد نوبات قبل ظهور الإسلام، وكان هذا في نوعين تحديات البيئة طبيعية قاسية، وتحديات بشرية صعبة[3].

فالتحدي الأول تمثل في قوله "وشبه الجزيرة العربية هو شبه قارة، فمن حيث المساحة باستثناء المرتفعات القائمة في زاويتها الجنوبية الغربية"[4].

ويقول "قسمت الطبيعة في الجزيرة العربية على الإنسان... وكان سكان الجزيرة العربية بإنشاء اليمن في جوع دائم "[5].

---

[1] - 21 حضارة: الحضارة الهينية-المصرية-السومارية-البابلية-الحيثية السريانية-الهندية-المينوية-الايرانية-العربية بالإضافة الى الحضارة الصينية-الشرق الأقصى-الأندية-اليوكاتيكية-المايانية-المكسيكية-المسيحية الأرثوذكسية الأرثوذكسية الروسية وقد قسم توينبي حضارات الشرق الأقصى إلى حضارة صينية-وكورية، ينظر: نيغين جمعة علم الدين: فلسفة التاريخ عند أرلوند توينبي، مكتبة المهتدين، مصر، 1991، ص 107.

[2]- جاك لوغوف: التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، ط1، المنظمة العالمية للترجمة، ، بيروت، 2007 ص90.

[3]- زياد عبد الكريم نجم: توينبي ونظرية التحدي والاستجابة (الحضارة الإسلامية أنموذجا)، الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق، 2010، ص 143.

[4]- ارلوند توينبي: تاريخ البشرية، تر: نقولا زياده، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2004، ص 451.

[5]- نفسه.

إذن جغرافية الجزيرة العربية استدعت تحدي متنوع، ونهاية هذا التحدي برز في جانبيه السلبي والايجابي، وذلك من خلال ردة فعل سكان الجزيرة، فمنهم من اتخذ من الهجرة بابا خارج الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين وبلاد الشام [1]، وهذا هو التحدي السلبي أما الإيجابي في نظر توينبي هو البقاء في الجزيرة ومحاربة كل الظروف الطبيعية القاسية التي تقف في وجه المتحدي مثل قريش التي استوطنت مكة المكرمة ومارس أهلها التجارة.

إذا أن توينبي ركز على تحدي الظروف البشرية واعتبره السبب المباشر في نشوء الحضارة الإسلامية، ولقد واجهت المجتمعات العربية قبل الإسلام ونوعين من الغزو (العسكري والثقافي)، ولكن بنسب متفاوتة، إذ كان تأثيرهما على المجتمعات العربية لبلاد الشام وبلاد الرافدين ومصر المتاخمة الإمبراطوريات العظمى آنذاك، (الرومانية والفارسية) أعظم من تأثيرهما في المجتمع شبه الجيرة العربية، وقد تشكل الغزو الخارجي المتكرر (عسكريا وفكريا)، ما يطلق عليه توينبي اسم "التحدي البشري"، وهذا ما جعل المجتمعات العربية أمام تحديات بشرية صعبة تستلزم استجابات ناجحة كي تنتقل من حالة الركود السلبي المنفعلة إلى حالة الحركة الإيجابية الفاعلة[2].

إذ إن التحديات التي واجهت مجتمع شبه الجزيرة العربية قبل نشوء الحضارة الإسلامية كانت طبيعية وبشرية، ولا بد لنا هنا أن ننوه إلى أن توينبي قد قسم الحضارات بناءا على نوع التحدي (تحدي العوامل الطبيعية، وتحدي البيئة البشرية، إلى قسمين: مجتمعات انتقلت من الحالة البدائية إلى حالة الحضارة دون أن تنتسب بعلاقة الأبوّة والبنوّة لحضارة سابقة عليها ... وهذه الحالة تنطبق على الحضارات الست التالية: (المصرية والسومرية والمينوية والمايانية والاندیانية والصينية).

أما القسم الثاني، فهو يشمل الحضارات الواحدة والعشرين التي تم ذكرها سابقا ... وهي حضارات نشأة عن حضارات سابقة عليها، والحضارة الإسلامية تندرج تحت القسم

[1] – ارلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص451.

[2] – زياد عبد الكريم نجم: المرجع السابق، ص 147.

الثاني[1]، أي أن الدورة الحضارية كانت من سمات الحضارية الإسلامية، بحيث نشأة الحضارة الإسلامية على أنها من حضارة السوريانية، ويفسر هذا مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة بقوله: "إذا نظرنا إلى الأشياء من وجهة الكونية فإننا نرى الحضارة تسير كما تسير الشمس، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر"[2]. ويقصد بذلك أن الحضارة بمعناها الشامل ثباتها في أمة وإقليم معين نسبي أي يذهب إلى قانون الدورة الحضارية، واستمرار الحضارة يكون بالهجرة المتواصلة لا نهاية لها، وتبنى من جديد من الإنسان وتراب والوقت.

إن الاستجابة الأولى الناجحة مثلت مرحلة البداية لميلاد الحضارة الإسلامية تجلت في مواجهتها لتحديين بشريين باعتقاد توينبي[3]، وذلك من خلال قوله: "ولد محمد في نطاق البروليتاريا العربية الخارجية[4] للإمبراطورية الرومانية في عصر كانت العلاقات بين الإمبراطورية وبلاد العرب قادمة على أزمة، ففي دوران القرنين السادس والسابع الميلاديين بلغ اقتحام التأثيرات الثقافية الواردة من الإمبراطورية لشبه الجزيرة العربية، درجة إشباع.

فكان لا مناص من أن يترتب على ذلك انبعاث رد فعل شبه الجزيرة العربية على الهيئة تولد طاقة مضادة تصد تلك التأثيرات الثقافية الدخيلة على بلاد العرب"[5]، أي أن أولى التحديات التي واجهتها هي تحدي خارجي تمثل في الغزو الثقافي الذي مارسته الإمبراطورية الرومانية على العرب في شبه الجزيرة العربية، أما عن التحدي الثاني فكان محلي، وذلك عندما وفق رسول الله ﷺ في سد عرى الحرب في يثرب ما بين الأوس والخزرج، زيادة عن ذلك انتصاره في "غزوة بدر" على مشركي قريش.

---

[1]– زياد عبد الكريم نجم: المرجع السابق، ص 147.

[2]– مالك بن نبي: مشكلات الحضارة وشروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 49.

[3]– زياد عبد الكريم نجم: المرجع السابق، ص 148.

[4] – بروليتاريا الخارجية: ويقصد بها توينبي عامة الشعب الذي يشكل الطبقة المحرومة من حقوقها الشرعية والذين لا يشعرون بأي انتماء إلى وطنهم إلا بأجسادهم فقطن وهذا ما يدفعهم للخروج من مجتمعهم وقد يكونون هم المسيطرين على هذا المجتمع. ينظر: أرلوند توينبي، مختصر دراسة التاريخ، ج1، مصدر سابق، ص 380.

[5]– نفسه.

II- ارتقاء ونمو الحضارة الإسلامية:

ركبت الدولة الإسلامية أو مدينة الرسول ﷺ الحضارة، وبقيت تواجه تحديات التي كانت لها استجابات ناجحة، أخذت الحضارة الإسلامية إلى الارتقاء والنمو ومن أهم التحديات التي واجهتها نذكر:

1- بعد وفاة الرسول ﷺ، شعر الأنصار وهم أهل المدينة، أنهم بحاجة إلى اختيار خليفة يتولى شؤون المدينة، وأمر المسلمين، وإلا تعرضت المدينة للتهديد ... فتقدم عمر وبايع أبا بكر، ثم بايعه أهل السقيفة ثم في اليوم الثاني بايعه الناس البيعة العامة[1].

2/ والتحدي الآخر لاقى استجابة ناجحة، هو تحدي "أهل الردة"[2]، حيث عقد أبو بكر لواءً لقتال المرتدين في كل الجزيرة[3]، وانتهت بإخضاعهم والانتصار عليهم.

بالإضافة إلى عدة تحديات على المستويين السياسي والعسكري، وهو الأمر الذي أوقف استمرار الفتوحات على أربع جهات حسب رأي توينبي وهي كالآتي:

- عدم إقامة مراكز ثابتة إلى شمال سلسلة جبال طووس وإقامة مراكز مؤقتة في جبال لبنان 677، فتوقفت الفتوحات العربية عند جبال أمانوس (وهم سكان يعتبرون أعداء في نظر البزنطيين).

- لم يستطيعوا احتلال القسطنطينية وفشلوا، فقد حاول معاوية بن أبي سفيان مؤسس الدولة الأموية محاصرتها وأنشأ أسطولا قويا ولكنه فشل (661-680).

- قوة بلاد الغال.

- عجزهم على فتح إمبراطورية البدو والخزرج (بين نهري الغولف والدون) في سنة 737-738م[4].

---

[1]- خيذر أمال، رحومة سمرة: المرجع السابق، ص 76-77.

[2] - أهل الردة: بعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت كل جزيرة عن الإسلام - ما عدا مكة والمدينة والطائف، فقسم من المرتدين عادوا إلى الكفر وإتباع مدعي النبوة، وقسم امتنعوا فقط على دفع الزكاة.

[3]- أحمد معمور العسيري: رموز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحاضر 1417هـ)، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الدمام، 1417هـ-1996م، ص 99-100.

[4]- خيذر أمال، رحومة سمرة: المرجع نفسه، ص 78.

وهكذا وجدت تحديات كبيرة واجهت الحضارة الإسلامية من ناحية الفتوحات العسكرية، حيث كانت تتطلب استجابات ناجحة، لم يفلح القادة العسكريون في تجاوزها في تلك المرحلة، ولكن تم تجاوز معظمها فيما بعد، ومثل ذلك سقوط القسطنطينية على يد السلطان العثماني "محمد الفاتح" 1453م، بعد استخدامه خطة ذكية وعزم ثابت، وهذا مثال واضح على قدرة القادة المسلمين على إبداع الاستجابات الناجحة على تحديات صعبة التي واجهت فتوحاتهم الواسعة.

وترتب على ذلك اتساع رقعة الخلافة العباسية، وكانت الاستجابة ناجحة قد ظهرت على مدى مستويات ونذكر منها:

أ- على الصعيد السياسي: كان لابد من تنظيم شؤون الحكم (تجهيز الدواوين، تعيين الولاة والقضاء... وحماية الثغور وضبط الأمن الخارجي والداخلي...).

ب- على الصعيد الثقافي: ظهر هذا من خلال الاحتكاك بين العرب المسلمين بثقافات الشعوب الأخرى (من يونانية وفارسية ورومانية وهندية وصينية...الخ).

ج- على الصعيد الاقتصادي: فلقد أصبح المسلمون يمتلكون مساحات من الأراضي الخصبة وذلك من خلال الفتوحات الإسلامية، بالإضافة إلى الجزية التي يدفعها من أهل الذمة.

د- على الصعيد الاجتماعي: فقد ظهرت حالة من عدم التجانس أحيانا بين العرب المسلمين وبين سكان البلاد المغولية[1].

وخلاصة القول أن الاستجابات التي أفرزتها التحديات الصعبة التي واجهت الفتوحات الإسلامية على الأصعدة الأربعة سابقة الذكر، مصدرها البنود والقيم التي ينص عليها الدين الإسلامي، بحيث الأخير منهجه المرونة ومراعاة المصلحة العامة قبل الخاصة.

[1]- زياد عبد الكريم نجم: المرجع السابق، ص 101-109.

III- أزمة الحضارة الإسلامية:

إن قيام الخلافة العباسية مكان الخلافة الأموية، قد عمل على تغيير ماهية الدولة الإسلامية، فقد كانت هذه الدولة، من سنة 733 إلى سنة 750 فترة سيادة لفئة إسلامية عربية ذات امتيازات خاصة بها...، وكانت تضم جميع سكان الدولة الإسلامية، بل البشرية جمعاء، وإزاحة السيادة العربية (750) ثبت سنة 712، لما استولى المأمون وأخيه من بعد[1]، وقد انعكس هذا بالسلب على الحضارة الإسلامية بحسب توينبي حيث يقول: "والثمن الذي دفعته الدولة الإسلامية لقاء وضع حد لهوية الأمة الإسلامية عربيا، كان تحول الحكومة إلى أوتوقراطية[2] من النوع الفارسي الساساني"[3].

بهذا يكون توينبي قد أرجع سبب ضعف السلطة إلى تغيير حكامها، أي أن الفترة العباسية هي بداية تدهور الحضارة الإسلامية.

ويرد توينبي سبب تدهور الحضارة هي توقفها عن النمو، وتتلخص طبيعة هذا التوقف في أمور ثلاثة: انعدام ملكة الإبداع عند الأقلية المسيطرة، وانعدام مقابل للمحاكاة من جانب الأكثرية ...، ثم فقدان الوحدة الاجتماعية بظهور النزعة الانفصالية عند البروليتارية (الأكثرية)، وهذا ما يسميه توينبي بـ "زمن الشدائد"[4]، بحيث يتوقف النمو، نتيجة عدم التحكم والقدرة في تقرير المصير، ومنه يأتي دور الأقلية المسيطرة في محاولة الحكم والسيطرة، ومنه إلى الانحلال الحضارية نتيجة الانقسامات الداخلية، وهذا ما شهدته الحضارة الإسلامية، بحيث بدأت بتغيير الملك الذي يعتبر المسؤول الأول عن قوة الدولة ورقيها وعن ضعفها وانحطاطها، وظهر ذلك مع الخلافة العباسية كما ذكرنا سابقا.

وكذلك يرجع الأمر إلى انتقال اللحمة بادية في أوساط العرب إلى حروب داخلية فيما بينهم، نظرا للخصومات التي كانت تنتسب في قلب الحضارة الإسلامية، وصارت دولتهم

---

[1]- إرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص 477.

[2] - أوتوقراطية: هي شكل من أشكال الحكم، تكون فيه السلطة السياسية بيد شخص واحد بالتعيين لا بالانتخاب، كلمة "أوتوقراطية" أصلها يوناني وتعني (الحاكم الفرد، أو من يحم بنفسه).

[3]- إرلوند توينبي: المصدر نفسه،ص477.

[4]- صائب عبد الحميد: فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي (دراسة مقارنة بالمدارس الغربية الحدية والمعاصرة)، دار الهدى د ب، د س، ص 130.

تتجزأ حتى سقطت، وذلك كما حدث لهم في إسبانية وصقلية اللتين أضاعوها بفضل انقساماتهم الداخلية على الخصوص[1].

وإذا أردنا أن نرسم طريق أو خطة للخلافة العباسية في ضوء نظرية التحدي والاستجابة، فسوف نجد الشكل الآتي:

- **فئة مسيطرة مستبدة:** وهاته الفئة لم تعط حلول مناسبة واستجابات ناجحة للتحديات رغم وجود بعض الاستثناءات مثل صلاح الدين الأيوبي.
- **بروليتاريا داخلية:** وهي الفئة التي لا تشعر بالانتماء إلى الخلافة العباسية والتي تكيد لها، وذلك من خلال الثورات والعداءات والفتن الداخلية فعملها هو التفرقة، وهذا ما أثقل كاهلها وزاد مشاكلها.
- **بروليتاريا خارجية:** وتمثلت في كل من المغول والحملات الصليبية اللتان يسعيان إلى السيطرة على الخلافة العباسية وخاصة بلاد الشام، وعلى رأسها "القدس الشريف"[2] وعلى الرغم من التوتر الذي حدث داخل الحضارة الإسلامية ورسم لها النهاية بالاضمحلال والانهيار، إلا أن النتيجة كانت عكسية فقد كان ظهورها واستمرارها في التوسع ما أبهم توينبي واعتبره انجازا رائعا، وصنفه دينا عالميا، وهنا تبدأ الدورة الحضارية، أي الانطلاق وانتعاش الحضارة لتبرز دورة حضارية جديدة.

وحلول توينبي لإنقاذ الحضارة تنحصر فيما يلي:

أولا: الابتعاد عن الحرب: بحيث يراه السبب المباشر الذي يقتل الحضارة والذي زالت بسببه الحضارات السالفة، ويقول في هذا "وبعد دراسة مقارنة انهيار الحضارات المعروفة، تبين أن الانهيار الاجتماعي مأساة مفتاح عقدتها مؤسسة الحرب"[3]، ولعل الحرب هي حقا في آخر تحليل بنت الحضارة.

ثانيا: العودة إلى الدين: ما عرفناه على توينبي بأن المحرك الفعلي للتاريخ هو الدين الذي يسموا بالحضارة أو العكس، يقول توينبي في الأديان بأنها: "تتولد الأديان العليا في عصر

---

[1]– غوستان لوبرن: حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013، ص 232.

[2]– خيذر أمال، رحومة سمرة: المرجع السابق، ص 81.

[3]– أرلوند توينبي: الحرب والحضارة، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق، دمشق، 1960، ص 165.

الاضطرابات الذي يلي انهيار الحضارة وتتطور في إطار سياسي للدولة عالمية"[1]، ويقصد توينبي هنا بالأديان العليا، تلك الأديان التي تهدف إلى الوصول إلى العالمية وتأثيرا على وجه الأرض.

وهكذا وما بين صعود وسقوط تستمر حال الحضارات على هذا النسق، ومصير الحضارات مرهون بمدى الاستجابة للتحديات التي صاغ منها "توينبي" نظريته الفلسفية حول صعود وسقوط الحضارات التاريخية[2].

وأن مسألة الغزو البروليتاريا الخارجية أو الضغط الخارجي، ما هو إلا ضربة القاضية التي تتلقاها الحضارة وهي تلفظ أنفاسها، لتنهار وتزول أو لتتجدد وتنبعث من جديد.

[1]– أرلوند توينبي: مختصر دراسة التاريخ، ج1، مصدر سابق، ص 415.

[2]– بن دحمان سميحة: الدورة الحضارية عند اسوالد الشينجلر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، إشراف: بوزبرة عبد السلام، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية العلوم الانسانية، قسم الفلسفة، 2016–2017، ص 37.

خلاصة:

يرى توينبي أن الحضارة الإسلامية نشأة على أنقاض الحضارة السوريانية وكان نجاحها في تجاوز التحديات الصعبة (سواء كانت طبيعية أو بشرية) جعلها تركض سلم الإرتقاء الحضاري، نظرا لما تحمله من مبادئ ميزتها عن بقيتها.

إلا أن توينبي يرى في الحضارة الإسلامية أنها خالفت النظرية الذي ساغها في قراءة تاريخ الحضارات "نظرية التحدي والاستجابة" في شطرها الأخير، فعوضا أن تضمحل الحضارة الإسلامية وتنهار مرت فقط بأزمة، وشقت طريق الاستمرارية الحضارية، ويرجع ذلك إلى منهجها المرن في التعامل مع شتى المجالات (الجغرافية، البيولوجية السياسية...الخ) الذي نص عليه الدين الإسلامي.

الفصل الرابع

المنظور التاريخي والجيوسياسي للتاريخ والحضارة العربية الإسلامية

تمهيد

I- التفسير العقلي للتاريخ من المنظور الفلسفي التاريخي (توينبي)

أ- أوضاع العرب قبل مجيء محمد ﷺ

ب- محمد ﷺ بين النظر العقلي والعمل الديني

ج- محمد ﷺ بين النظر العقلي والعمل السياسي العسكري

II- التاريخ الجيوسياسي للحضارة الإسلامية

أ- الظروف الانثربولوجية الجغرافية لنشأة الإسلام

ب- الجيوسياسية العامة "للإمبراطورية" الإسلامية

خلاصة

تمهيد:

إن الحديث عن أمة أو حضارة وتفصيل في شخصيتها وصياغة عقلها، لا يمكن التوصل إليه بدون الوعي بالتاريخ، والأخير شهد قراءات عديدة ومتنوعة بتنوع مناهج البحث العلمي، وقد كان التاريخ الإسلامي من أبرز محاور الدراسات من طرف المؤرخين عربا كانوا أو غربيين ومن ضمنهم المستشرقين.

ودراسة أرلوند توينبي ومنهجه التحليلي للتاريخ ميزته عن باقي الباحثين، ومن هذا نتساءل كيف كان التفسير العقلي للتاريخ الإسلامي من طرف توينبي؟

وكيف كانت دراسته الجيوسياسية للحضارة الإسلامية؟

I- التفسير العقلي للتاريخ من المنظور الفلسفي التاريخي (توينبي):

عندما نلحق مصطلح العقلانية (أو العقل) بالفلسفة نكون قد طرقنا باب الإبستومولوجيا[1] أو نظرية المعرفة[2]، والتي تطلق على أي فكر يحتكم الاستنتاج (المنطق) تمصدر للمعرفة أو لتفسير بمعنى أدق.

"ولعل من أبرز المباحث توجها لدى المفكرين نظرية المعرفة، التي تبقى ميدانا خصبا للعديد من الفلاسفة كونها تهتم بأساسيات المعرفة لدى الإنسان، كبيان طبيعتها وأنواعها ومصادرها، وقد كان للتيار العقلي والتجريبي إسهامات عديد في هذا الميدان مفسرا بذلك كل واحد من هذه التيارات منهجه الخاص"[3].

وتقول آمنة عبد السلام الزائدي في نظرية المعرفة: "وإذا كان الإنسان هو مركز الدراسات الإنسانية ومحورها، فإن نظرية المعرفة هي أساس هذه الدراسات وجوهرها، من حيث تعلق دراستها، بأهم أشكال الحياة الإنسانية وهي المعرفة البشرية"[4].

كما أن هناك اختلاف في النظام للإيستمولوجيا فهناك "النظرة الفلسفية التقليدية بوصفها دراسة للمعرفة كما هي في اللحظة الراهنة لتحليل للمعرفة استنادا إلى غايتها

---

[1] – الإستيمولوجيا: (إن كلمة épistémologie تعني حرفيا science la de théorie)نظرية العلم، يرجع ظهورها في المعاجم الفرنسية إلى المعجم la rousse illustré لسنة 1906 فالإبستومولوجيا (épistémologie) ،(مصطلح صيغ من كلمتين يونانيتين :

–الإبستمي(épistémé)، ومعناها: علم (وهو موضوع الإبستومولوجيا).

–اللوغوس (logos)، ومن معانيها: علم، نقد، نظرية، دراسة، ويدل على المنهج. فالإبستومولوجيا، إذا، من حيث الاشتقاق اللغوي هي " علم العلوم"، ويعني هذا العلم المعرفة. ينظر: علي حسين كركي: الإبستومولوجيا في ميدان المعرفة، شبكة المعارف، ط1، بيروت، لبنان، 2010 ، ص15.

[2] – نظرية المعرفة: تخص فلسفيا بالبحث في أصل المعرفة،ومصدرها،وطبيعتها، وحدودها ،وقيمتها ،فان تصور المعرفة يرتبط ميتا فيزيقيا بطبيعة الوجود،ويتشكل اجتماعيا في إطار المجتمع، ويتصل عقليا بوصف أشكال النشاط العقلي ويرتبط منطقيا بقواعد الاستدلال الصحيح، ويتعلق نفسيا بعملية تكوين المعرفة ،ويتحدد أخلاقيا بالالتزام بالحقيقة.ينظر:عادل السكري:نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 20.

[3] – مؤلف مجهول: ص. أ.

[4] – آمنة عبد السلام الزائدي: مفهوم نظرية المعرفة، مجلة كلية الآداب، ع3، كلية الأدب، جامعة المرتب، 2015، ص349.

الخاصة". في حين ينتقد هذا الرأي ويعطى الرأي البديل وهو "لا شك أن المعرفة العلمية تطورية على الدوام، فهي تتغير من حين لآخر، وعليه فلا يمكننا أن نقرر من جهة أن المعرفة تاريخاً، ثم ننظر من جهة أخرى إلى حالتها الراهنة كما لو كانت نهائية أو ثانية"[1].

وبهذا يكون هدف المنهج الإسيتمولوجيا السعي وتقصي الحقائق، والأخيرة تنقسم إلى نوعان: "(حقائق العقل، وحقائق الواقع)، وحقائق العقل ضرورية ونقائضها مستحيلة، وحقائق الواقع العارضية ونقائضها ممكنة، إذ كانت الحقيقة ضرورية في مقدورنا معرفة سبب ضرورتها بتحليلها إلى أفكار وحقائق أبسط حتى نصل إلى الحقائق الأولية"[2].

أي أن الحقائق العقلية هي التي لا يمكن أن تخضع للجدل وواضحة عند العقلاء وثابتة عند إخضاعها لمناهج الدراسية المتنوعة، أما الحقائق الواقعية فهي الوجود الموضوعي للأشياء، وهو ما يمكن التأكد منه حسياً وتجريبياً وما يشترك فيه جميع الناس ولا يختلفون فيه.

أما الحقائق العقلية بوصفها تستدعي ذلك، لتكون في صورتها الأخيرة واضحة المعالم.

ويعرف لالاند أهداف المنهج الإيستمولوجي في قوله: "هي فلسفة العلوم لكن بمعنى أكثر دقة،، فلا تخص فقط دراسة المناهج العلمية، التي هي موضوع الميتودولوجيا، إنها في جوهرها الدراسة النقدية لمبادئ وفرضيات ونتائج مختلف العلوم، الهادفة إلى تحديد أصلها المنطقي لا النفسي وقيمتها ومدى موضوعيتها"[3].

---

[1] – جان بياجيه: الإيستمولوجيا التكوينية، تر: السيد نفاديدار التكوين، دمشق، 2004، ص35.

[2] – رودرك م. تشيزهولم: نظرية المعرفة، تعريب: نجيب الحصادي، دراسة الدولية، مصر، كندا، 1994، ص97.

[3] – رماس عولية: إيستمولوجيا اللا دراسة في تحليل النفسي للمعرفة عند باشلار، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، قسم العلوم الاجتماعية، الفلسفة، جامعة د. الطاهر مولاي، سعيدة، 2013–2014، ص16.

أ- أوضاع العرب قبل مجيء محمد ﷺ:

كانت شبه الجزيرة العربية[1] قبل ظهور الإسلام مسرحا لكثير من الأحداث ويرجع سبب ذلك إلى:

1. "كان العرب قبل ميلاد النبي ﷺ يعيشون في جهل، حياة عابثة فاسدة لا غاية لها ولا هدف من ورائها إلا إرضاء شهوات النفس وإباحة المنكرات والفواحش"[2].

2. "للعرب قبل الإسلام مثل سائر الشعوب الأخرى تعبدوا الألهة، وفكروا في وجود قوى عليا لما عليهم حكم وسلطان ...، سلكوا في ذلك جملة مسالك، هي ما نسميها في لغتنا بالأديان"[3].

3. "... والقرن السادس للميلاد، فترة من الفترات المهمة في تاريخ البشرية فيه ظهرت إمارات الشيخوخة الساسانية".

4. "كان العرب بدو وحضر[4] والفكر السياسي عند البدو ويختلف عنه الحضر"[5].

---

[1] – الجزيرة العربية: سميت جزيرة لأن بحر فارس وبحر الحبش والفرات ودجلة أحاطت بها، وهي أرض العرب ومعناها. ينظر: البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع، تح: مصطفى السقا، ج1، ط1، ص6.
وقد ذكر القشقندي في سبب تسمية جزيرة العرب بالجزيرة: "سميت جزيرة العرب جزيرة لأن جزر الماء عنها حيث لم يمتد عليها، وإن كان مطيّفاً بها، ينظر: القلقشندي: الصبح الأعشى في صناعة الأنشى، ج4، المطبعة الأميرية، القاهرة ص245.

[2] – سيد مبارك: حياة محمد (ص)، دار البيان للطباعة، القاهرة، 2004، ص7.

[3] – جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (أديان العرب قبل الإسلام)، ج6، ط2، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بيروت، 1413هـ-1993م، ص5.

[4] – البدو والحضر: البدو: أولئك الذين يجتمعون ويتعاونون في حاجياتهم وعمرانهم من القوت والمسكن والدفء بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحمل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك. والحضر: الجماعة من الناس الذين اتسعت أحوالهم، وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرقة، ينظر: عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص150.

[5] – أحمد محمود العسيري: موجز التاريخ الإسلامي منذ عصر آدم عليه السلام تاريخ ما قبل الإسلام، إلى عصرنا الحاضر، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الدمام، 1417-1996، ص41.

وبالتالي يصعب توحيد أفكار متنافرة في حيز واحد، ويحتاج هذا نقل عنصر منهما إلى مستوى الآخر، بحيث يصبحون على طبقة واحدة لكي، تسن قواعد للجميع دون إجهاض وهذا ما فعله الدين الإسلامي (محمد –ﷺ–).

5. أما جغرافية الجزيرة العربية فكانت "كثيرة الجبال الجراء، والصحاري المترامية الأطراف ويتخلل هذه الجبال كثير من الوديان التي هيأتها السيول ليجري فيها ماؤها"[1].

6. وكان سكان العرب قلما في بواديهم يبقون في مكان واحد، ولكنهم يتتبعون مواقع القصر لتربع أنعامهم، وإذا تأخر المطر اشتد الحال عليهم"[2].

إذن شبه الجزيرة العربية قبل مجيء الرسالة المحمدية، كانت أوضاعها مختلفة في شيء المجالات، وكانت تستدعي منهج مضبوط ومرن، ليساعد على توحدها ودفعها نحو الركب الحضاري، فكان الرسول محمد ﷺ القائد المنتظر، والمنهج الشامل الذي يراعي شتى المجالات والقيم بحيث أتى بمنهج عقلي جديد، وهذا ما سنفصل فيه وفق ما نظر إليه الأستاذ توينبي.

إن بداية توينبي في تفسيره لتاريخ الحضارة الإسلامية كان من الحيز الجغرافي الذي ولد فيه الرسول ﷺ ، بحيث ذكر أهم المراحل بإيجاز، أي التي تخدم منهجه للتفسير الحضاري، وفي هذا يقول قاسم عبد العوض المجشي: "إهتم توينبي بحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وطبيعة دعوته في سياق تحليله عملية الحضارة الإسلامية وتطورها"[3].

ولم يغفل توينبي عن الظروف التي ولد فيها الرسول ﷺ ويقول فيه: "كان لتجربة النبي محمد أثر كبير في نقل رسالة ربه إلى قومه، وقد كان تاريخ الجزيرة مرتبطا بذلك، ذلك بأنه منذ أن دجن الجمل قبل أيام محمد بنحو ألفي سنة، أصبحت الجزيرة العربية مما يمكن اجتيازه من مكان إلى آخر، وأخذت الآراء والتنظيمات تتغلغل إلى شبه الجزيرة من الهلال الخصيب الذي يصاقيها إلى الشمال وهذا التغلغل كان أثره تراكميا"[4].

---

[1] – أبو شبلي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1433–2012، ص22.

[2] – نفسه.

[3] – قاسم عب عوض المحبشي: المرجع السابق، ص243.

[4] – أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص380.

يشرح توينبي هنا الظروف التي كانت قبيل الرسالة المحمدية، حيث كانت مشحونة وعلى وشك الانفجار ذلك في قوله: "إذ تلقى هذه الشحنة فأحسن استعمالها، وذلك برؤية النيّرة وتصميمه وحكمته"[1]. ويؤكد ويفسر سبب هذه الشحنة في موضع آخر بقوله: "بلغ اقتحام التأثيرات الثقافية الواردة من الإمبراطورية لشبه الجزيرة العربية، درجة الإشباع فكان لا مناص من أن يترتب على ذلك إنبعاث رد فعل شبه الجزيرة العربية على هيئة تولد طاقة مضادة تصد تلك التأثيرات الثقافية الداخلية على بلاد العرب"[2].

ب- محمد ﷺ بين النظر العقلي والعمل الديني:

حصر توينبي نجاح واستمرارية الدعوة للإسلام في عاملين نص عليهما رسول الله ﷺ، وهما التوحيد والتنظيم، حيث يقول: "وثمة مظهران في التاريخ الاجتماعي للإمبراطورية الرومانية في عهد الرسالة المحمدية، يضفيان تأثيرا عميقا على عقل كل باحث في الشؤون العربية، ويجمع المظهرين انتقاد وجودها في الجزيرة العربية بوضوح تام قبل البعثة المحمدية:

أولا: إنتفاء عنصر الوحدانية في الفكرة الدينية.

ثانيا: انتفاء القانون والنظام وهما دعامة كل حكومة"[3].

أي أن الجزيرة العربية لم تشهد قبل الرسالة المحمدية فكرة التوحيد وإرساء أسس الدولة بالاعتماد على القانون.

ويقول: "ولقد كرس محمد حياته لتحقيق رسالته في كفالة هذين المظهرين"[4].

وسنركز في العمل الديني على العامل الأول ألا وهو التوحيد، وقد عرف توينبي البدايات الأولى لظهور الدين الإسلامي وعمل الرسول ﷺ بمرحلة العزلة والاعتكاف، فهي في نظر توينبي مرحلة دينية خالصة، بحيث يقول: "... انصب اهتمامه خلالها على رسالة الدينية ولقد لبث قبل ذلك خمسة عشر عاماً، يشتغل بتجارة القوافل بين الواحات العربية

---

[1] – أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص380.

[2] – نفسه.

[3] – نفسه، ص380-381.

[4] – نفسه.

والموانئ الصحراوية السورية للإمبراطورية الرومانية، على طول مشارف السهب العربي الشمالي، ثم عاد في سن الأربعين إلى إبلاغ رسالته الدينية"[1]، ويفصل في هذا القول بقول آخر: "وقد خرج محمد نفسه في قوافل تجارية من مكة لحساب السيدة خديجة التي أصبحت زوجة فيما بعد... ولما تلقى محمد الوحي لأول مرة لحول سنة 1210 كان قد تزوج خديجة واتخذ مكة دار له"[2].

في حين تختلف القراءة ما بين الفلاسفة والمؤرخين في حصر مرحلة الاعتزال والاعتكاف فهناك من يعني بها كما فسرها توينبي سابقا، وهناك من يحصرها في لبثة في غار حراء.

ويشرح توينبي أصل الرسالة ومعانيها بقوله: "كان جبريل لينقل الوحي إلى محمد وأصل الرسالة هو التوحيد أي لا إله إلا الله، وفكرة الوحدانية كانت قائمة إجراء الجزيرة العربية يومها...، وبموجب الرسالة التي حملها إلى أتباعه فإن أول ما يطلبه الذين يعتنقون الرسالة هو الإسلام النفس الله (وهذا عن كلمة الإسلام في العربية)"[3] ومعنى التوحيد بالنسبة لتوينبي هو تضامن الإنسان مع أخيه الإنسان وهذه الوحدة المرتجاة لا تكون أساسا بغير الإيمان لديانة التوحيد، والنظر إلى المجتمع الموحد على أنه جزء من ملكوت الله[4].

وقد ارتبطت دعوة محمد ﷺ بـ: وعد دنيوي وأخروي أي بالمقابل وهي من أسس نجاح تقبل الرسالة وانتشارها، بحيث يقول أشرف منصور في هذا "والجدير بالذكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم في السنوات الأولى من الدعوة عندما كان يطرح الإسلام على الناس وعلى القبائل المتاجرة بمكة كان يعد بالجنة وبملك كسرى وقيصر في نفس الوقت، أي كان يعد بالخلاص الأخروي والدنيوي معاً بتقديمه لدين جديد يمكن أن يكون وسيلة للقضاء على الفقر الصحراوي بفتح ممالك الفرس والروم"[5].

---

[1] – أرلوند توينبي: مختصر دراسة التاريخ، ج1، المصدر السابق، ص381.

[2] – أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص454.

[3] – نفسه.

[4] – أشرف منصور: الرمز والوعي الجمعي دراسات في سوسيولوجيا الأديان، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010، ص90.

[5] –نفسه.

بهذا يكون وعي الرسول ﷺ بحب الإنسان للتملك ومادة، فكان خطابه مشبع بتطلعات الإيجابية.

ويذكر توينبي بأن الدعوة المحمدية لم تخلوا من الشوائك وردود أفعال مؤلمة اتجاه الرسول ﷺ، وذلك بقوله: "لم تقبل مكة رسالة محمد، فقد كانت مكة دولة واحة يتحكم في شؤونها أوليغريقية تقوم على رأسها قريش، التي كانت تعتمد على التجارة في ثرائها، على نحو ما كانت أوليغريقية تدمر في القرنين الخامس"[1].

ويفسر سبب ذلك بقوله: "وقد كان القريشيون معمورة وقساة في تنظيم الأعمال الاقتصادية الخاصة، وكانوا يعرفون أن نجاح تجارتهم مرتبط ارتباطا وثيقا بمكانة الكعبة الدينية، وكانوا يخشون أن يؤدي انتشار التوحيد إلى زوال قيمة الكعبة (وكانت مجمعا لألهة كثر)، ومن ثم أن التجارة المكية ينالها الضعف بسبب إهمال المكان المقدس المرتبط بها"[2] ويضع توينبي احتمال بأن المضايقة قريش لمحمد لم تكن بسبب الدين الجديد فقط، وإنما لحامل هذا الدين بنفسه بقوله: "ولعل بعض زعماء قريش كانوا يضيقون ذرعا بمحمد نفسه وبعزمه وإيمانه، ذلك بأن النبي لم تكن أسرته مع أنها قريشية، في نظر هؤلاء من النخبة بينهم"[3].

ويفسر توينبي صدق الرسالة والإصرار في نشرها تركته يصبر على الأذى والعراقيل التي أحيطت به من طرق قومه (قريش) "ظل محمد ثلاث عشر سنة في مكة وهو يدعوا الناس إلى دين الله، فيما كان يتعرض للأذى وقد قبل دعوته نفر ضئيل وأصبح هؤلاء عرضة للضر"[4].

وقد اتبع الرسول ﷺ أسلوب التدرج لنشر دعوته، بحيث مرت بمرحلتين السرية ثم الجهرية، فالمرحلة الأولى كانت تجنبه الاصطدام بقومه حتى آمنا به اثنان من أقوى قومه بأسا وشجاعة وهما عمر بن الخطاب العدوي، وحمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله

---

[1] – أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص 454.

[2] – نفسه، ص 454.

[3] – نفسه.

[4] – نفسه، ص 455.

عليه وسلم[1]، ثم انتقلت الدعوة جهرا وأمره الله سبحانه وتعالى في هذه المرحلة أن يقتصر أولا على دعوة عشيرته الأقربين قال تعالى: ((وأنذر عشيرتك الأقربين وأخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين، فإن عصوك فقل إني برئ ممّا تعملون))[2].

وبخروج الدعوة من السرية إلى الجهرية تحول العمل من ديني إلى سياسي عسكري في نظر توينبي.

ج- محمد ﷺ بين النظر العقلي والعمل السياسي العسكري:

يحدد الأستاذ توينبي بداية العمل السياسي والعسكري للرسول ﷺ من هجرته من مكة إلى المدينة، وهذه المرحلة عرفها بمرحلة العودة والظهور بقول توينبي في هذه المرحلة: "... وفيها غطت الشؤون السياسية على الرسالة الدينية بل حجبتها"[3]. ولم تكن هجرة الرسول ﷺ عشوائية بل وضع خطة محكمة لم ينسى فيها أن يعني بكل صغيرة وكبيرة ومن بين عناصر هذه الخطة نذكر: "السرية التامة، حتى لا تستطيع قريش أن تعترض طريقه إن علمت بأمره، الخروج في وقت يغلب فيه الهجوع حتى لا يتنبه أحد، إعداد رواحل قوية وتعهدها خارج مكة ثم إحضارها عند الوقت المناسب...[4].

" في هذه المرحلة طغت فيها (الدولة) على روح الدين الجديد، وتحولت الدعوة من الإيمان لله إلى القتال في سبيله، لقد بدأت هذه المرحلة كذلك (باعتكاف) النبي وهجرته من مكة إلى المدينة والتي استأنفت على أشدها عند عودته إلى مكة فاتحا بعد 7 سنوات من (الاعتكاف) من عام (622-229) [5] "يقول توينبي في هذا: الدول ذات سيادة تشن الحروب ولم يتوان محمد، وقد أصبح الآن حاكما عن شن الحرب ضد أهله المكيين، وكان ثمة احتمال في أن ينجح وقد نجح فعلا. وهذا النجاح هو الذي أدخل الدين في السياسة والحرب"[6]. أي أن نجاحه في أولى أعماله العسكرية دفعته إلى مواصلة العمل العسكري

---

[1] – أرلوند توينبي:تاريخ البشرية، المصدر السابق ،ص454.

[2] – سورة الشعراء: الآية [214].

[3] – أرلوند توينبي: مختصر دراسة التاريخ، ج1، المصدر السابق، ص381.

[4] – نفسه.

[5] – عبد عوض قاسم المحبشي: المرجع السابق، ص244.

[6] – أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص455.

وكان بمثابة الخطوة الأولى للانتقال من الدعوة إلى العمل السياسي العسكري، ويرى توينبي في هذا أن النبي ﷺ خرج على المبدأ العام الذي حاول تطبيقه على شخصيات الخلاّقة التي اتصفت بحركة الاعتكاف والعودة "تعني حالة الارتقاء بالنفس والتسامي الروحي لا حالة انحدار تهبط إليها النفس، كما هبط محمد من علياء النبوة إلى دنيا السياسة بعودته من المدينة إلى مكة"[1]. ويقول توينبي على براعة الرسول ﷺ وحنكته "وقال محمد في يثرب بدوره السياسي في غاية البراعة، ويبدوا أن أهل يثرب كانوا قد أدركوا حنكته تماما. ومع أن خبرته الإدارية لم تكن تتجاوز النظر في أمور مذهب ديني أتباعه قلة، قد أثبت أنه حري بالاضطلاع بالمسؤولية الجديدة، وفي هذا المجال الإداري الواسع الذي انفتح أمامه بوصفه مدعوا لحكم يثرب، وفق محمد فيه بين التجربات البشرية كما آخى بين أهل يثرب ومسلمي مكة الذين انظموا إليه في يثرب"[2].

ويؤكد توينبي في هذا على ركيزة الدين في تسيير شؤون الدولة، ومثال ذلك ما أعطاه على افتقار الرسول ﷺ بالإحتكاك بالسياسة أو دخوله في العمل العسكري إلا أنه حقق إنجازات في هذين المجالين ببراعة.

"ويلاحظ توينبي أن هذه الانتصارات العسكرية والسياسية بالإسلام في بدايته المبكرة قد أعطت انطباعا لدارسي التاريخ الغربيين بأن الإسلام قد أحدث انشقاقا حادا في تاريخ المجتمع العالمي القديم، ذلك الانبثاق الذي لم يكن له شبيه قبله ولا بعده"[3]، ويرجع هذا إلى "سعة نطاق وسرعة وثورية التأثير العسكري والسياسي للإسلام على العالم في الثلاثين سنة التي بدأت بانسحاب محمد ﷺ من مكة إلى المدينة سنة 622هـ، وفي خلال هذه الثلاثين من السنين ضمت دولة الإسلام كل الجزيرة العربية والإمبراطورية الساسانية الفارسية وممتلكات الإمبراطورية الرومانية في الشام ومصر وهذه النجاحات السياسية الهائلة جديرة بأن تبصر المؤرخين الغربيين المحدثين بالذات، ذلك لأن عقلية المجتمع الغربي الحديث عقلية سياسية"[4]، بمعنى العقلية السياسية تسليط الاهتمام على تفسير الماضي في لوحة

---

[1] – عبد عوض قاسم المحبشي: المرجع السابق، ص246.

[2] – أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص455.

[3] – أشرف منصور: المرجع السابق، ص45.

[4] – نفسه، ص46-47.

وإعطائه في قالب سياسي سردي، وهذا يخضع جوانب من التاريخ الماضي إلى التهميش والتضليل، لكن توينبي خالف المجتمع الغربي فصب اهتمامه للكشف على هذا التاريخ المهمش[1].

II- التاريخ الجيوسياسي للحضارة الإسلامية:

إن دراسة الحضارة الإسلامية جغرافيا، دون الفهم والتقصي في الحقائق الانثربولوجية[2] والبنيات السياسية التي حددت هذه المعالم، بمثابة رسم خارطة دون تدوين معالمها، وينطبق الأمر كذلك على الدراسة السياسية الخالية من المادة الجغرافية.

لهذا كانت الدراسة الجيوسياسية[3] ولا زالت شاملة لجميع ما تحمله الجغرافيا من معالم وفروع، والسياسة من المثاقفة وبنود، وبهذا نتساءل عن ملامح هذا المشهد حين ينطبق على الحضارة الإسلامية؟.

أ- الظروف الانثربولوجية الجغرافية لنشأة الإسلام:

أولا: الإطار الجغرافي للجزيرة العربية في عهد النبوة:

"ولد الإسلام وترعرع في وسط مميز من شبه الجزيرة العربية، وهي شبه قارة، فمن حيث المساحة هي في حجم جزيرة الهند وأوروبة، ولكن على الجنوبية الغربية (في اليمن وعسير) التي أفضها الأمطار الموسمية، والتي هي نموذج مصغر لمرتفعات الأثيوبية- اريتريا على الساحل الغربي للبحر الأحمر، وتقوم مكة، موطن النبي على جزء أقل ارتفاعا

---

[1] – أشرف منصور: المرجع السابق، ص47.

[2] – الجيوسياسية: هي "كيفية قيام النظام السياسي في دولة ما بتوظيف الموقع الجغرافي-السياسي لها توظيفا ايجابيا في السياسة الخارجية أو إستراتيجية السياسية والعسكرية عند الدخول في صراع مع الدول الأخرى ،سواء الدول التي تشترك معها بصفة الجوار الإقليمي ،أو الدول التي تبتعد عنها إقليميا ولكنها تدخل معها في حالة نزاع سياسي سلمي أو في حالة نزاع سياسي سلمي أو في حالة من التقارب والتحالف من أجل تحقيق مصلحة مشتركة. ينظر: علاء الطاهر:العالم الإسلامي في استراتيجيات العالمية المعاصرة، ط 1، دار بلال، بيروت، 1998، ص69.

و"يرجع تعبير الجغرافية السياسية إلى العالم الألماني كانت (1703-1724) الذي اعتبر أبا للجغرافية السياسية ،وكان يدلي بأسس الجغرافية السياسية أثناء محاضرته". ينظر: محمد عبد الغني سعودي:الجغرافية السياسية المعاصرة. دراسة الجغرافيا العلاقات الدولية السياسية،مكتبة أنجلو المصرية، 2010، ص2.

[3] – الانثربولوجيا: كلمة مكونة من مقطعين الأول هو Anthropo أي الإنسان، والثاني هو Logy أي العلم أو الدراسة، ومعنى ذلك أن ترجمة اسم العلم هو "علم الإنسان" أو "دراسة الإنسان"، ينظر: محمد الوهري، علياء شكري: مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا، ص 14.

نسبيا على المرتفعات التي تطل على الساحل العربي للبحر الأحمر، إلا أنها بعيدة عن متناول الأمطار الموسمية، وليست مكة معدومة المطر، ذلك بأن استمرار السكن فيها يعود إلى وجود بئر دائمة فيها"[1].

ويقول فتحي محمد أبو عيانه في كتابه دراسات في جغرافية جزيرة العرب: "تقع شبه جزيرة العرب في جنوب غرب آسيا، وهي تمثل قلب المشرق العربي واتصلت بالأقاليم المجاورة له منذ القدم.

ثانيا: الإطار البشري للجزيرة العربية:

إن الإنسان ابن بيئته، وهذا ما عرفه ابن الجزيرة العربية، بحيث تأقلم معها على حسب متطلباته وانقسم إلى مجتمع بدوي ورحل وكانت الأخيرة تنتقل حيث وجدت الكلئ، يقول توينبي في هذا: "إلا أن ثروتها المائية لم تكمن لسكان مستقرين أن يحصلوا على قوتهم من الزراعة أو حتى رعي الحيوان، وهو مصدر الوحيد للعيش الذي ظل حتى قبل فترة قصيرة يعتمد على القسم الأكبر من سكان الجزء المعمور منها، البالغ ثلاث أرباعها وجماعة مستقرة تقيم حول بئر مكة، يجب أن تعيش على التجارة، وكان من الضروري أن يقوم فيها نوع من التقديس الديني يحميها من البدو الذين قد تغريهم الظروف بأن يتقاضوا مغارم كثيرة من قوافل التجار"[2].

أي أن انتشار البدو كان وسط الجزيرة العربية وكانوا يستخدمون الجمال للتنقل، "هذا وعلى رغم الغموض المحيط بنشأة الحياة البدوية في الجزيرة العربية، فإنه يمكن تحديد تاريخ ترويض الجمل، وهو الشرط الأساسي لقيام الحياة البدوية[3]، ويقول توينبي على أثر تدجين الحمل: "كان من أثر تدجين الحمل أن ارتبطت اليمن بفلسطين وسورية بطريق البري"[4].

---

[1]– أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص 450.

– شوقي أبو خليل: في التاريخ الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1996، ص 10.

[2]– أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر نفسه، ص 451.

[3]– كزافييه دوبلا نهول: تاريخ أرض الإسلام، الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام، تر: د. معاوية سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008، ص 27.

[4]– أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر نفسه، ص 452.

ويقول: "وكان تغلغل المدينة التدريجي، الذي كان يتم على الجمل، في الجزيرة العربية يرافقه نفر سكاني إلى خارج الجزيرة"[1].

ب- الجيوسياسية العامة "للإمبراطورية" الإسلامية:

يبدأ توينبي في رسم الخارطة الجغرافية للتوسعات الإسلامية، بتحديد المركز الأول للدولة الإسلامية والتي تبدأ أو تنطلق منه الفتوحات بقوله: "بعدما تغلبت قوات المدينة ومكة المشتركة على المرتدين. فهي أي القوات، بالإضافة إلى ما كان يحدوها من الإيمان كانت قوات يثرب تقاتل من أجل أن تظل مدينتهم –وقد أصبحت مدينة الرسول أو المدينة– عاصمة للدولة الجديدة"[2]. وكانت فترة الخلافة الأموية[3]، هي الفترة التي شهدت أقصى الفتوحات، وازدهر فيها العالم الإسلامي، وقد عبر توينبي عن إعجابه في سرعة الفتوحات الإسلامية بقوله: "وسرعة الفتوح التي تمت على أيدي الدولة الإسلامية، ومداها أمران يدعوان إلى الإعجاب. فقد انتزع العرب من الإمبراطورية البيزنطية السورية والجزيرة (الفراتية) وفلسطين ومصر إلى سنة 641، وكان العرب قد افتتحوا العراق 637 وإيران بأكملها حتى مروا إلى سنة 651 وقد انتهى أمر الإمبراطورية الساسانية في 651. وفي سنة 653 استسلم الأرمن وسكان جورجيا (وكلا الفريقين كان من أتباع الساسنيين والبيزنطيين) وبين سنتي 647 و698 انتزع العرب شمال غرب إفريقية من البيزنطيين وفي سنوات 710–712 اجتازوا البحر إلى شبه الجزيرة إيبريا وقضوا على مملكة القوط الغربيين، واحتلوا أملاكم حتى الواقعة في جنوب غرب البلاد الغال. وفي الواقع فإنه لم يبق خارج سلطانه سوى الزاوية الشمالية الغربية من إسبانيا، وفي الوقت نفسه كان العرب يفتحون 711 حوض السند ومنطقة البنجاب الجنوبية بما في ذلك الملتان... وفي السنوات 739–741 فتحوا ما وراء النهر بأكملها نهائيا"[4].

---

[1]– أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص 452.

[2] – نفسه، ص457.

[3] – الخلافة الأموية: تنسب الدولة الأموية إلى أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف، وكان أمية هذا سيدا من سادات قريش في الجاهلية، ينظر: أحمد محمود العسيري: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحاضر 1417هـ، 96–97م، ص135.

[4] – أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر نفسه، ص458.

إن إخضاع الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية تحت الحكم الإسلامي ليس بالأمر الهين، وبالمقابل كان حدث ألقى في نفوس المسلمين الثقة والرغبة نحو توسيع الرقعة الجغرافية الإسلامية، ويرجع ذلك إلى الوضع السياسي التي كانت تعيشه الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية، فالأولى شهدت تراجع قبيل فتح الإسلام، وسبب ذلك هو:

– "عامل المفاجأة: الإمبراطور البيزنطي هرقل لم يدرك مدى خطورة الوضع على جبهته الجنوبية بعد تنامي قوة المسلمين حتى رأى نفسه يواجه فجأة زحفهم باتجاه بلاد الشام.

– التغيير الإداري: عندما تسلم هرقل زمام الحكم في القسطنطينية، في عام 610 كان الخراب والدمار قد حلا بالإمبراطورية، وساءت أحوال البلاد الاقتصادية والمالية، وتعرضت الأقاليم الكبيرة الواقعة في وسط الإمبراطورية لغزات الأعداء.

– بالإضافة إلى النظام الضريبي وأثره على حياة العمل"[1].

أما بالنسبة للأوضاع الثانية عشية الفتوح الإسلامية فقد أخذ "الضعف يدب فاس عشية اغتيال كسرى الثاني سنة 628 أعقب هزيمته على يد الروم في الشام ومصر"[2].

ولم يغفل الأستاذ توينبي عن ذكر أهم العوامل أو النقاط التي ساعدت بإنتشار الإسلام نذكر منها:

– كان المسيحيون عونا للعرب الفاتحين.

– لم تكن هناك عنصرية بين العرب المسلمين وغيرهم[3].

– فكرة الوحدانية في الإسلام عصمته من ما حدث للمسيحية.

– انتشار الإسلام وتقبله هو عدم إخضاع متتبعيه إلى اللغة والهوية[4].

– "كان أكثر تسامحا في البلدان التي تم فتحها وأن المبدأ الذي اتبع فيما أخضعه فتح لم يكن الاختيار بين (الإسلام والموت)، بل التخيير بين الإسلام والجزية، والإسلام استطاع أن

---

[1] – العريني سيد الباز: الدولة البيزنطية (323–1581م)، دار النهضة العربية، بيروت ،ص 165.

[2] – الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، ط1، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، مصر، 1960، ص111.

[3] – أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص460.

[4] – نفسه، ص479–512.

يشق طريقه بين الأعاجم من رعايا الخلافة الإسلامية معتمدا على كفاءاته الدينية الخاصة دون اللجوء إلى السلاح"[1].

ويذكر كذلك أشرف منصور عن سبب نجاح الإسلام هو "توحيد القبائل العربية في دولة واحدة وإحكام السيطرة عليها يضمها جميعا في مشروع توسعي أعطاها صدقا مشترك بعد أن كانت قبائل متناحرة تشن حربا دائمة فيما بينهم، كذلك نجح الإسلام في السيطرة على شبكة مواصلات العالم القديم"[2].

ثم إن التأثير والتأثر المتبادل ما بين الأرض أو الرقعة الجغرافية والسياسية يعطي نتائج مختلفة حسب أولوية المؤثر، ومثال على ذلك ما شهدته الدولة الأموية في منطقة شمال إفريقيا، يختلف على ما شهدته في الأندلس على الرغم من تطبيق نفس النظم، يقول علاء الطاهر: "إن الإجراءات الاقتصادية السياسية التي قام بها الأمويون في المنطقة شمالي إفريقيا كان لها أثر إلهام في ديمومة الإسلام داخل هذه البلدان واستمرار يته لحد الآن هذا مع ذكر مثل استثنائي هو وجود المسلمين في الأندلس أو في إسبانيا فعلى الرغم من المسلمين قد أقاموا في إسبانيا أيضا نظمهم الإدارية والسياسية، إلا أن الأرضية الاجتماعية لإسبانيا باعتبارها دولة مسيحية مسبقا وبقعة أوروبية، قد جعلت المسلمين يتصفون بخصوصية حضارية مختلفة عن تلك الخصوصية الخاصة بالإسلام في شمالي إفريقيا فالنظم الإدارية لم تكن صارمة جدا على صعيد ارتباطها بالشريعة وبالتعاليم الإسلامية بل كانت تطبيقات الإدارية والسياسية للمسلمين في إسبانيا مراعية للأرضية الحضارية التي دخلت فيها فكانت منفتحة ومرنة"[3].

ويرجع توينبي توقف التوسع العربي عن الفتح إلى ثورة 750هـ و(الحرب الأهلية) التي انتهت بزوال الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية (وهذه سيطرت على أراضي الدولة جميعها باستثناء أقصى شمال غرب إفريقية وإسبانية)[4].

---

[1] – قاسم عوض المجشي: المرجع السابق، ص246.

[2] – أشرف منصور: المرجع السابق، 90-91.

[3] – علاء الطاهر: العالم الإسلامي في استراتيجيات العالمية المعاصرة، ط1، دار بلال، بيروت، 1998، ص41-42.

[4] – أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص461.

"ولم يشهد هذا العصر حروب وفتوحات كبيرة بل حدثت فقط بعض الحروب محدودة مع الدول المجاورة جغرافيا مثل الدولة البيزنطية، إلا أن التطور التجاري والاقتصادي في هذا العصر قد كان له أثرا خاصا في توسع انتشار الإسلام...، وبذلك حل محل التوسع العسكري في البلدان والأقاليم الجغرافية توسع تجاري أو غزو تجاري للكثير من البلدان والأقاليم الأجنبية الجديدة التي لم تشملها عمليات الفتح العسكري"[1].

وحَكمت أنفاس الخلافة العباسية من طرف الغزو المغولي المدمر، بحيث استولى المغول على بلاد ما وراء النهر وخرسان وفارس، وقضوا على الدولة الخوارزمية، واستولوا على آسيا الصغرى فأصبحت العراق مفتوحة أمامها[2].

ويصف توينبي تغلب الإسلام في القرنين 12 و13 على الصعوبات واستمراره في الانتشار بالإنجاز الرائع، ذلك لأنه كان ممزقا سياسيا نظرا لتعرضه لهجوم عنيف في حوض البحر المتوسط على أيدي المسحيين الغربيين وفي آسيا أيضا على أيدي المغول.

ويضيف توينبي بأن الفترة ما بين 1220 و1405 فترة محن مر بها العالم الإسلامي (هجومات جنكيس خان ما وراء النهر).

"وفي سنة 1555 كان العالم الإسلامي أوسع رقعة مما كان عليه في 1591 والقسم أكبر منه الآن مقسما بين ثلاث إمبراطوريات كبيرة، الدولة العثمانية (التركية) في المشرق والإمبراطورية الصفوية في إيران، والإمبراطورية التيمورية (المغولية) في الهند".

ويقول توينبي على الإمبراطورية العثمانية بأنها كانت أقدم الإمبراطوريات التي توافقت زمنا مع سنة 1555، فقد كانت نواتها موجودة في 1300-1353 وثبتت أقدامها في أوروبا وفي سنة 1402 كانت أكثر أقسام الإمبراطورية الرومانية الشرقية[3].

كما أن فتح مدينة قسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية وسقوطها على يد السلطان محمد الثاني الفاتح، خلق للعثمانيين قاعدة هامة على مضيق البوسفور، تسهل لهم القيام بحملات عسكرية على الجزء الجنوبي الشرقي لأوروبا، هذا الاتجاه الذي نفذوا منه ليحكموا

---

[1] – علاء الطاهر: المرجع السابق، ص42-43.

[2] – أشرف منصور: المرجع السابق، ص217.

[3] – أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص528-556.

هيمنتهم بعد ذلك على البلقان والإدرياتيك ويتقدم نحو النمسا يحاذوا حدود فيينا الحالية وليصلوا إلى بولونيا[1]"

ومن بين الإمبراطوريات التي مثلت خطرا على العثمانيين الإمبراطورية الصفوية حيث قامت الأخيرة وسط مجموعة من الدول هي:

"الدولة العثمانية، ودولة المماليك، ودولة الأوزبك، ودويلات الإسلامية في الهند التي استطاع التيموريون توحيدها وإقامة إمبراطورية الهند المغولية على أنقاضها"[2]، بحيث نشأة في الفترة التي انتقلت العاصمة السياسية الإمبراطورية العباسية من بغداد إلى القاهرة بعد هجوم المغول، بحيث استطاعت ترجمت الأفكار سياسيا ببناء دولة في مطلع القرن 16.

ويرجع توينبي سبب انحطاط الإمبراطورية العثمانية إلى:

– مشاكل اقتصادية واجتماعية، فيقول: "انحطاط الإمبراطورية العثمانية كان سببه أمرين متلازمين زمنيا، التضخم النقدي والتضخم في العاملية في خدمة السلطان... وترتب على ذلك انتشار الفوضى الموظفين العامين"[3].

– سماح لدخول أبناء الإنكشارية للجيش وعدم تقاضيهم لمراقبات جعل منهم فئة مدنية مشاغبة.

– لم تكن هناك ضغوطات على المسيحيين وحملهم على الإسلام[4].

– ورغبة الدول العربية في استقلالها وبناء نفسها بعيدا على الدولة العليا التي طالما أهملتها فاشتدت الحركات الاستقلالية ضدها[5].

---

[1] – علاء الطاهر: المرجع السابق، ص49.

[2] – علي إبراهيم درويش: السياسة والدين في مرحلة تأسيس الدولة الصفوية 1501–1576، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، كانون الثاني/ يناير 2013، ص25.

[3] – أرلوند توينبي: تاريخ البشرية، المصدر السابق، ص607.

[4] – نفسه، ص607–608.

[5] – أحمد معمور العسيري: المرجع السابق، ص340.

خلاصة:

ومما سبق ذكره نستنتج أن:

-التفسير العقلي للتاريخ هو البحث عن العقل الذي شكل النواة الأساسية لبروز الحادثة التاريخية ومصوغها,وهذه الدراسة تتطلب منهج مخالف للمناهج العلمية المتداولة في استقراء الوثائق التاريخية,فكان المنهج الابستيمولوجي المراد في دراسة عقل مؤسس الحاضرة الإسلامية وكيف تعامل مع الظروف الجغرافية والجيوسلسية .

-إن العوامل الانثربولوجية والبيوجغرافية سمحت للدين الإسلامي من الانتشار بسهولة في مناطق صعبة المنال، كما بينت قدرة الإسلام على التأقلم في البيئات المختلفة .

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال دراستنا لمجرى التاريخ الإسلامي وفق منظور ارلوند جوزيف توينبي§ نذكر أهم ما توصلنا إليه من استنتاجات على وجه العموم لا التخصيص, وهي كالآتي:

1-إن منشأ توينبي, ومساره التكويني, والأحداث التاريخية التي عاصرها,ونظرته إليها نظرة تأملية بإخضاعها إلى المقارنة لأحداث الماضي بكل فتراته، جعلت منه يتمتع بأهمية كبيرة في التراث الفكري والفلسفي والتاريخي,بهذا يكون قد حطم به أفق الدراسات الضيقة للمؤرخين المحترفين للتاريخ,بإخراجه للأحداث التاريخية من زاوية التهميش.

2-اختلفت دراسة المستشرقين للشرق الإسلامي وتميز هذا الاختلاف بصفتيه, الايجابية والسلبية، فالأولى تمثلت في سعيهم نحو ربط المناهج الغربية مع المناهج الشرقية,وتعميق الصلة بين العلماء العرب والغرب.أما الثانية فكانت سعيهم في الحصول على كنوز وأثار الحضارة الإسلامية (مخطوطات,كتب ....الخ)والعودة بها نحو إقليمهم,وكذلك لبسهم ثوب الجوسسة تحت عنوان الباحثين في التاريخ البشرية, ليكونون دعما للحركات الاستعمارية.

بهذا يكون من الصعب دراسة فكر ونوايا توينبي ضمن الإستشراق والمستشرقين,وارتأينا الى محاولة تصنيفه ضمن ماخلفه من أثار مادية (مؤلفاته),والأخيرة شهدت له بانه مفكر وفيلسوف للتاريخ لاغير.

3-أثبتت نصوص توينبي على انه مؤرخا وفيلسوفا عالميا.

4-التاريخ بالنسبة لتوينبي متواصل, ومترابط, ومتداخل, أي انه خطي وليس قطعي، والحضارة هي التي تحمل الصفة الأخيرة عنده, بحيث تسير على مسار الذي يرسمه التاريخ وفترة تعميرها على وجه الأرض ترتبط بنوع الاستجابات التي تقدمها للتحديات التي تواجهها.

5-درس ارلوند توينبي مجرى الحضارة الإسلامية وفق نظرية التحدي والاستجابة، اي تفسيرها من خلال نشأتها, ثم نموها, وصولا الى الارتقاء ثم التقلص والانحطاط.

6-ادخل توينبي محمد ﷺ ضمن الأفراد المبدعين الذين تنطبق عليهم مرحلة الاعتزال والعودة فكان تصنيف محمد(ص)في المرتبة السادسة عنده.بحيث اعتبر المرحلة الأولى من حياة محمد

ﷺ مرحلة دينية خالصة, تميزت باللين من غير ضعف، وبالصلابة من غير عنف.أما الثانية أدخلت محمد ﷺ في العمل السياسي العسكري.

وتمثلت حنكة وحكمة الرسول صلى الله عليه وسم بالنسبة لتوينبي في التأكد واطمئنانه على الوحدة الداخلية وتماسكها أولا, ثم البدا بالخطوة الثانية, وهي إنشاء علاقات مع القبائل المجاورة ذات الشأن, والعمل على توسيع نطاق الدعوة الإسلامية.

7-سمحت الأوضاع الجيوسياسية قبيل ظهور الرسالة المحمدية في شبه الجزيرة العربية في سرعة احتضانها والمساهمة في بناء "إمبراطورية الإسلامية" مترامية الأطراف. وكان هذا على النحو التالي:

-السيطرة العسكرية على الطرق التجارية ساعدها على التوسع من جهة وتوفير الأمن من جهة ثانية.

-سهل المبدأ السياسي للدولة الإسلامية (نبذ التميز العنصري والقبلي) في السيطرة على البيئة البشرية التي سمح لها بتوحيد القبائل العربية تحت ظل الإسلام,وكانت من أهم نتائجه توسع المجال الجغرافي.

8- من أسباب اضمحلال الحضارة الإسلامية تخليها على فكرة الوحدانية، وضعف الحاكم, والاتخاذ من الإسلام ذرعا نحو التوسع بقصد تحقيق أهداف دنيوية,فتمزق العالم الإسلامي وانتقل من وحدة إلى العصبية القبلية تسعى كل منها التوسع في مجالها على حساب الأخرى.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا- المصادر:

القرآن الكريم

1. أرلوند توينبي: الحرب والحضارة، تر: فؤاد أيوب، دار دمشق، دمشق، 1960.
2. أرلوند توينبي: الفكر التاريخي عند الإغريق، تر: لمعي المطيعي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1966.
3. ارلوند توينبي: تاريخ البشرية، تر: نقولا زياده، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 2004.
4. أرلوند توينبي: تاريخ الحضارة الهيلينية، تر: رمزي جرجس، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، 2003.
5. أرلوند توينبي: مختصر دراسة التاريخ، ج1، تر: فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، المركز القومي للترجمة القاهرة، 2011.
6. أرلوند توينبي: مختصر دراسة التاريخ، ج4، ط2، تر: محمد فؤاد شبل، الإدارة الثقافية في جامعة الدول الأوروبية القاهرة، 1955.
7. القلقشندي: الصبح الأعشى في صناعة الأنشى، ج4، المطبعة الأميرية، القاهرة، دس.

ثانيا- المراجع:

أ- الكتب:

8. الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود: الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، ط1، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، مصر، 1960.
9. نيغين جمعة علم الدين: فلسفة التاريخ عند أرلوند توينبي، مكتبة المهتدين، مصر، 1991.
10. أبو شبلي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة، 1433-2012.

11. أحمد حسن زيات: تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر، دس.
12. أحمد محمود العسيري: موجز التاريخ الإسلامي منذ عصر آدم عليه السلام تاريخ ما قبل الإسلام، إلى عصرنا الحاضر، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الدمام، 1417-1996.
13. أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ، ج1، مؤسسة الثقافة الجامعية، نهج التاريخ، 1975.
14. أحمد معمور العسيري: رموز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحاضر 1417هـ)، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الدمام، 1417هـ-1996م.
15. إدوارد سعيد: الإستشراق المفاهيم الغربية للشرق، تر: محمد عناني، ط1، دار الرؤية، القاهرة، 2006.
16. أشرف منصور: الرمز والوعي الجمعي دراسات في سوسيولوجيا الأديان، ط1، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.
17. وسامي حمود الحاج جاسم: الإستشراق دراسة تاريخية، قسم التاريخ، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.
18. محمد الوهري، علياء شكري: مقدمة في دراسة الانثروبولوجيا، ص 14.
19. البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع، تح: مصطفى السقا، ج1، ط1، دس.
20. علاء الطاهر:العالم الإسلامي في استراتيجيات العالمية المعاصرة، ط 1، دار بلال، بيروت، 1998.
21. السيد أمين شلبي: نظرات في أرلوند توينبي، دار القباء، القاهرة، 2000.
22. العريني سيد الباز: الدولة البيزنطية (323-1581م)، دار النهضة العربية، بيروت.
23. جاك لوغوف: التاريخ الجديد، تر: محمد الطاهر المنصوري، ط1، المنظمة العالمية للترجمة، بيروت، 2007.

24. جان بياجيه: الإيستمولوجيا التكوينية، تر: السيد نفاديدار التكوين، دمشق، 2004.
25. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (أديان العرب قبل الإسلام)، ج6، ط2، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بيروت، 1413هـ-1993م.
26. حسن مؤنس: التاريخ والمؤرخون، دراسة في علم التاريخ (ماهيته وموضوعاته ومن أهله ومدارسه عند أهل الغرب وأعلام كل مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ، ومدخل إلى فقه التاريخ)، ط2، دار الرشاد، القاهرة، 2001.
27. حسين مؤنس: الحضارة (دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون والأدب، الكويت، يناير، 1978.
28. خاليد فؤاد طحطح: في فلسفة التاريخ، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، (1430هـ-2009م).
29. رودرك م. تشيزهولم: نظرية المعرفة، تعريب: نجيب الحصادي، دراسة الدولية، مصر، كندا، 1994.
30. زياد عبد الكريم نجم: توينبي ونظرية التحدي والاستجابة (الحضارة الإسلامية أنموذجا)، الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق، 2010.
31. سيد مبارك: حياة محمد (ص)، دار البيان للطباعة، القاهرة، 2004.
32. شوقي أبو خليل: في التاريخ الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1996.
33. صائب عبد الحميد: فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي (دراسة مقارنة بالمدارس الغربية الحدية والمعاصرة)، دار الهدى د ب، د س.
34. عبد الرحمان خليفة، فضل الله إسماعيل: المدخل في الإيديولوجيا والحضارة، مكتبة بشان المعرفة، 2006.
35. عفت محمد الشرقاوي: أدب تاريخ عند العرب، دار العودة، بيروت.
36. علاء الطاهر: العالم الإسلامي في استراتيجيات العالمية المعاصرة، ط1، دار بلال، بيروت، 1998.

37. علي إبراهيم درويش: السياسة والدين في مرحلة تأسيس الدولة الصفوية 1501-1576، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، كانون الثاني/ يناير 2013.
38. غوستان لوبرن: حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013.
39. فؤاد محمد شبل: دراسته للتاريخ لأرلوند توينبي، دار الهية المصرية، القاهرة، 1999.
40. كزافييه دوبلا نهول: تاريخ أرض الإسلام، الأسس الجغرافية لتاريخ الإسلام، تر: د. معاوية سعيدوني، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008.
41. كولون ولسون: سقوط الحضارة، تر: ارخيس زكي حسين، ط2، دار الأدب، بيروت، 1961.
42. كولون ولسون: سقوط الحضارة، تر: أنيس زكي حسن، ط3، منشورات دار الآداب، بيروت، 1982.
43. مالك بن نبي: مشكلات الحضارة وشروط النهضة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1986.
44. محسن مهدي: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، تر: ياسر الشريف، (د.ت)، (د.م).
45. محمد فاروق النبهان: الإستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو الرباط، 1437هـ-2012م.
46. عادل السكري:نظرية المعرفة من سماء الفلسفة إلى أرض المدرسة، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999، ص 20.
47. نيفين جمعة علم الدين: فلسفة التاريخ عند أرنولد تونبي، 1991.
48. علي حسين كركي: الإبستومولوجيا في ميدان المعرفة، شبكة المعارف، ط1، بيروت، لبنان، 2010.
49. سعدون الساموك: الإستشراق ومناهجه في الدراسات الإسلامية، دار المناهج، ط1، عمان، 1431هـ-2010م.

50. محمد عبد الغني سعودي:الجغرافية السياسية المعاصرة. دراسة الجغرافيا العلاقات الدولية السياسية،مكتبة أنجلو المصرية، 2010.

ب- المجلات:

1. آمنة عبد السلام الزائدي: مفهوم نظرية المعرفة، مجلة كلية الآداب، ع3، كلية الأدب، جامعة المرتب، 2015.
2. صدقي حطاب: أرنولد توينبي، مجلة عالم الفكر، المجلد 1، العدد 1، أبريل، مايو، يونيو، 1974.
3. عبد النبي أصطيف: نحو إستشراق جديد، مجلة الاجتهاد (مجلة متخصصة تعني بقضايا الدين والمجتمع والتجديد العربي الإسلامي)، العدد 50 و51، السنة الثالثة عشر، ربيع وصيف العام 2006-1422.
4. قاسم حسن آل شامان: فلسفة التاريخ عند أرلوند توينبي، مجلة آداب الفراهيدي، العدد خاص بالمؤتمر الثالث (العدد العاشر)، كلية التربية، كانون الأول، جامعة تكريت، قسم التاريخ، 2009.
5. محمد محمود السروجي: التفسير الحضاري للتاريخ إبن خلدون وأرلوند توينبي، مجلة التاريخ العربي، العدد 34 ربيع الأول 2005/1426.
6. مصطفى محمد طه: توينبي والتفسير الحضاري للتاريخ، مجلة الفيصل السعودية، دار الفيصل الثقافة، العدد 278، نوفمبرديسمبر 1994.
7. مؤلف مجهول: أرلوند توينبي، مجلة بعنوان مقالات في التاريخ، 09 أوت 2014.

ج- الأطروحات والرسائل:

1. قاسم عبد العوض المحبشي: فلسفة التاريخ في الفكر الغربي المعاصر (أرلوند توينبي أنموذجا)، رسالة دكتوراه في الفلسفة، إشراف: مدني الصالح، جامعة بغداد، 2004.

2. صالح حمد حسن الأشرف: الإستشراق مفهومه وآثاره، مذكرة لنيل ماستر، إشراف: عبد العزيز بن محمد القعشمي، كلية الشريعة، قسم الثقافة، جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية (1437-1438هـ).
3. بن دحمان سميحة: الدورة الحضارية عند اسوالد الشينجلر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة، إشراف: بوزبرة عبد السلام، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، كلية العلوم الانسانية، قسم الفلسفة، 2016-2017.
4. رماس عولية: إيستمولوجيا اللا دراسة في تحليل النفسي للمعرفة عند باشلار، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر، قسم العلوم الاجتماعية، الفلسفة، جامعة د. الطاهر مولاي، سعيدة، 2013-2014.
5. سميحة بن دحمان: الدورة الحضارية عند سوالد شبنجلر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، إشراف: بوزبرة عبد السلام، جامعة المسيلة، 2016-2017.
6. أحمد حمدي محمود: فكرة التاريخ، لدوبين جورج كولنجوود، رسالة ماجستير في الفلسفة، جامعة الإسكندرية.
7. خذير أمال، رحومة سمرة: نظرية التحدي والاستجابة عند أرلوند توينبي، رسالة ماستر، إشراف: شهيدة لعموري، علوم الإنسانية، شعبة الفلسفة، تخصص تاريخ الفلسفة، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2014-2015.
8. شيخاوي لخظر: التفسير الحضاري للتاريخ عند "أرلوند توينبي"، رسالة ماستر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، 2016-2017.
9. عثمان عي :بنية المعرفة العلمية عند غاستون باشلار،إشراف لخضر مذبوح، رسالة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة ، جامعة منتوري ،قسنطينة،29.جوان 2008.

الملاحق

الملحق رقم (01): صورة لأرلوند توينبي[1]

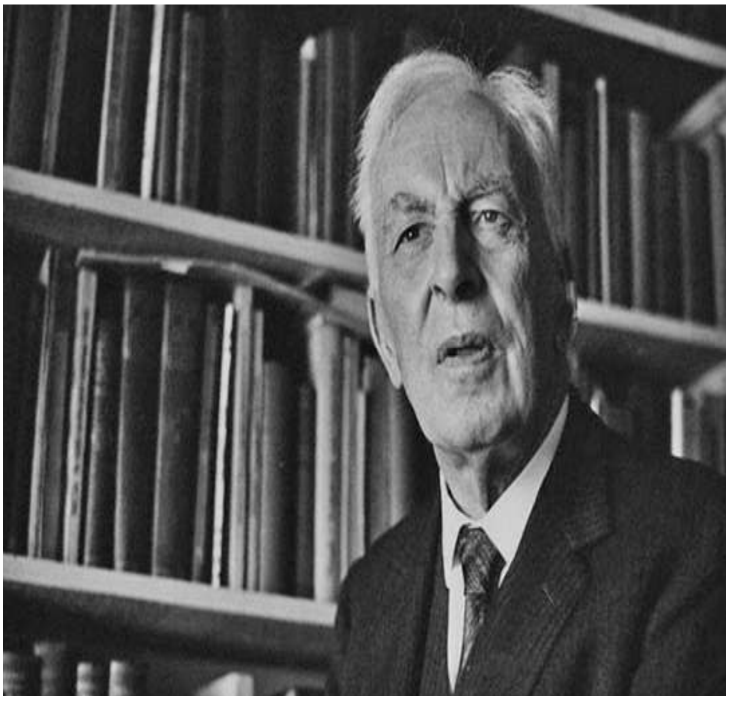

الملحق رقم (02): صورة لابن خلدون [2]

[1]– هميسي عصام: صراع الحضارات في العالم القديم، مذكرة لنيل شهادة الماستر التاريخ العام، إشراف مرزوقي بلقاسم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2017/2016. ص 118.

[2]– نفسه، ص 115.

الملحق رقم (03): صورة فولتير [1]

الملحق رقم (04): صورة شبنجلر [2]

[1]– هميسي عصام: المرع السابق، ص 116.

[2]– نفسه، ص 117.

الملحق رقم (05): واجهة كتاب مختصر دراسة للتاريخ

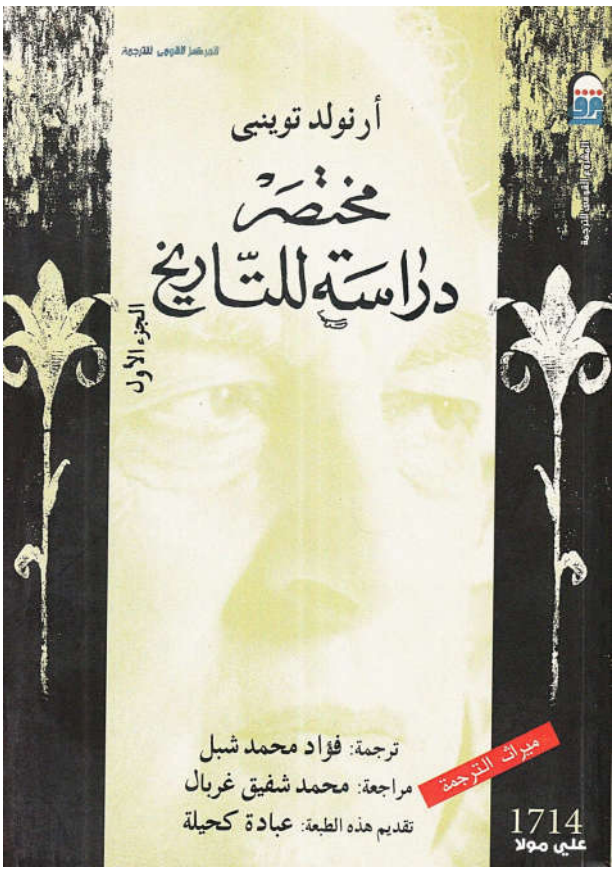

الملحق رقم (06): واجهة كتاب تاريخ البشرية

الملحق رقم (07): واجهة كتاب بحث في التاريخ

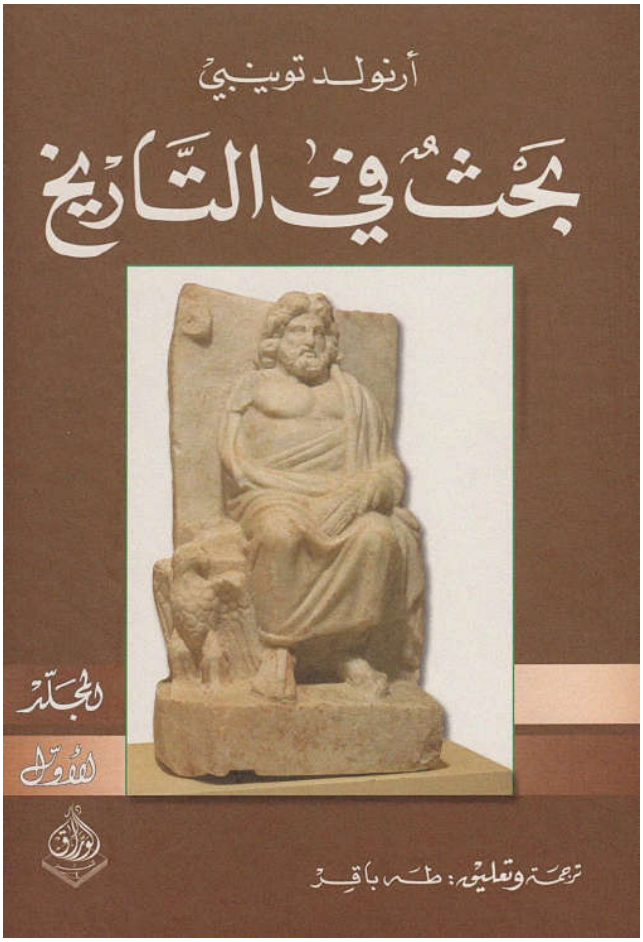

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان
مقدمة ..... أ
الفصل الأول: المسارات الفكرية عند أرلوند جوزيف توينبي المؤرخ والفيلسوف
تمهيد 8
I- ترجمة لأرنولد جوزيف توينبي..... 9
أ- تكوينه العلمي ومشاركته السياسية ومناصبه 9
ب- مشارب توينبي الفكرية..... 10
II- الإستشراق والمستشرق..... 13
III- من مؤلفات أرلوبد جويزف توينبي..... 15
IV- توينبي مؤرخ أم فيلسوف..... 17
أ- توينبي مؤرخا محترفا..... 17
ب- توينبي فيلسوفا للتاريخ 17
خلاصة 20
الفصل الثاني: التاريخ والحضارة عند أرلوند جوزيف توينبي
تمهيد 22
I- منهج توينبي 23
II- مفهوم التاريخ والحضارة عند أرلوند توينبي 25
أ- التاريخ عند أرلوند توينبي..... 25
ب- مفهوم الحضارة عند أرلوند توينبي..... 27
ج- علاقة التاريخ بحضارة عند توينبي..... 30
خلاصة 32
الفصل الثالث: الحضارة الإسلامية من منظور أرلوند جوزيف توينبي
تمهيد 34
I- مولود الحضارة الإسلامية من منظور توينبي..... 35

II- ارتقاء ونمو الحضارة الإسلامية 38
III- أزمة الحضارة الإسلامية 40
خلاصة 43
الفصل الرابع: المنظور التاريخي والجيوسياسي للتاريخ والحضارة العربية الإسلامية
تمهيد 45
I- التفسير العقلي للتاريخ من المنظور الفلسفي التاريخي (توينبي) 46
أ- أوضاع العرب قبل مجيء محمد ﷺ 48
ب- محمد ﷺ بين النظر العقلي والعمل الديني 50
ج- محمد ﷺ بين النظر العقلي والعمل السياسي العسكري 53
II- التاريخ الجيوسياسي للحضارة الإسلامية 55
أ- الظروف الانثربولوجية الجغرافية لنشأة الإسلام 55
ب- الجيوسياسية العامة "للإمبراطورية" الإسلامية 57
خلاصة 62
خاتمة 64
الملاحق 67
فهرس المحتويات 72